تفسير

سورة الفاتحة

زمزم منصور القطان

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

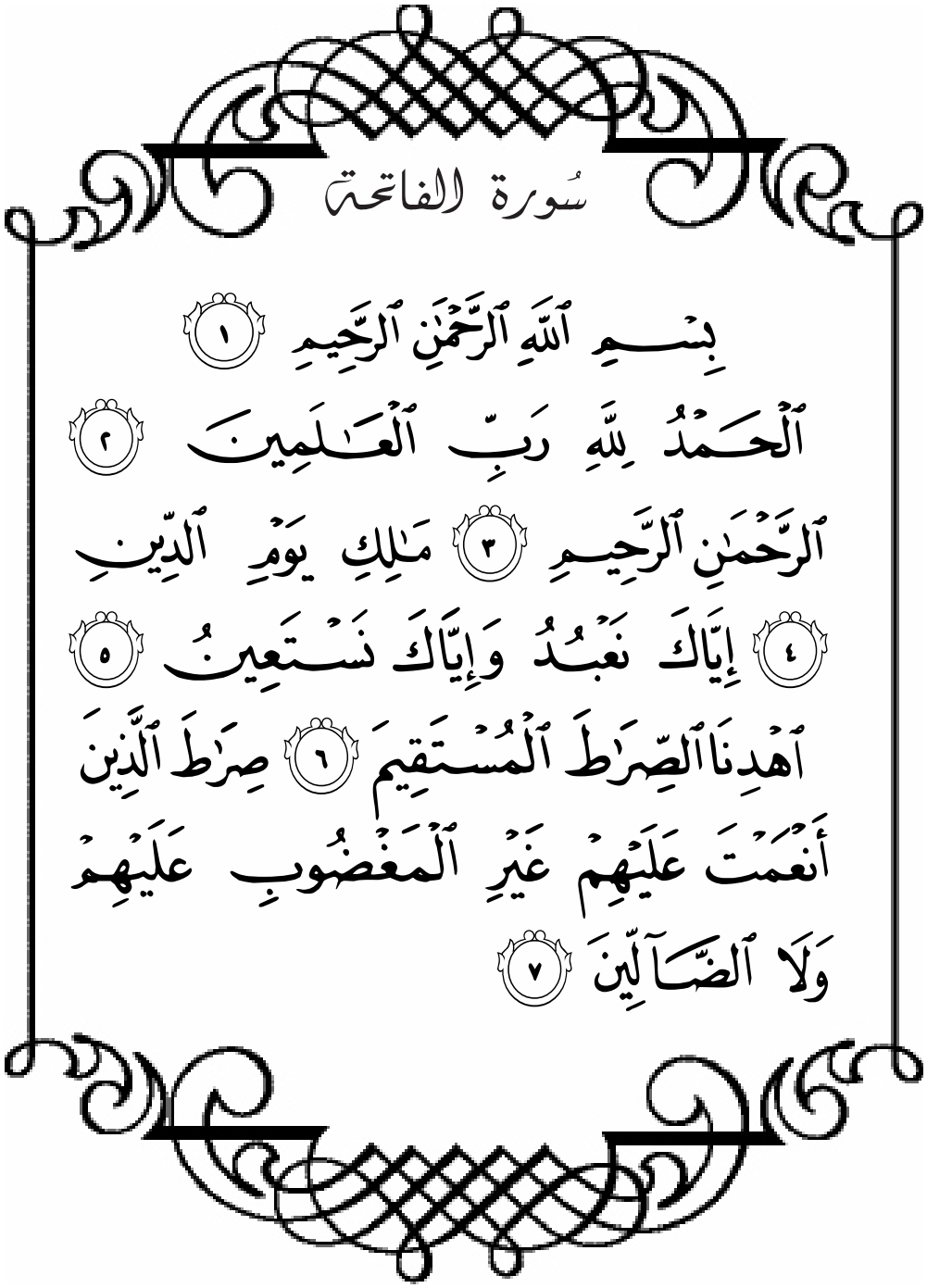

سُورة الفاتحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ

﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

سورة الفاتحة
مكية وآياتها سبع

مكيــة عن ابن عباس وقتاة. ومدنية عن مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة.

- **أسماء السورة:**

١- **الفاتحة (فاتحة الكتاب):** سـميت بذلك لافتتاح المصـاحف بكتابتها ولوجوب قراءتها في الصـلاة فهي فاتحة لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة.

٢- **أم الكتاب، أمّ القرآن:** سـميت بذلك لأنها متقدمة على سـائر سـور القرآن وأصـله ولأن السـورة تضـاف إليها ولا تضـاف هي إلى شـيء، والعرب تسمي كل جامع أمر أو متقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه.

وقد أطلق اسـم (أم الكتاب) أو (أم القرآن) على سـورة الفاتحة لأنها تحتوي بشكلٍ مجملٍ على جميع مطالب القرآن الكريم ومواضيعه.

٣- **السبع:** سُميت بذلك لأنها سبع آيات لا خلاف في جملتها.

٤- **المثاني:** سـميت بذلك لأنها تثني بقراءتها في كل صلاة فرض ونفل.

وقيـل: لأنهـا نزلت مرّتـين على رسـول الله ﷺ، مـرة في مكة المكرمـة عند نزول الأمر بالصـلاة، ومرة أخرى فـي المدينة المنورة عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام.

٥- **الوافية:** لأنها لا تنتصف في الصلاة.

٦- **الكافية:** لأنها تكفي عما سواها، ولا يكفي ما سواها عنها، ويؤيد ذلك ما رواه عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ: «**أمُّ القرآن عوض عن غيرها، وليس غيرها عوضاً عنها**».

٧- **الأساس:** لما روي عن ابن عباس: «**إن لكل شيء أساساً**»، وساق الحديث إلى أن قال: «**وأساس القرآن الفاتحة، وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم**».

٨- **الشفاء:** لما روي عن النبي ﷺ: «**فاتحة الكتاب شفاء من كل داء**».

٩- **الصلاة:** لما روي عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي، ونصفها لعبدي فإذا قال العبد: (الحمد لله رب العالمين)، يقول الله تعالى: حمدني عبدي، فإذا قال: (الرحمن الرحيم)، يقول الله: أثنى عليّ عبدي، فإذا قال العبد: (مالك يوم الدين)، يقول الله: مجدني عبدي، فإذا قال: (إياك نعبد وإياك نستعين)، يقول الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم) إلى آخره، قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**».

١٠- **الحمد:** سُميت بذلك لأن فيها الحمد أو بمعنى آخر لأنها تبدأ بكلمة الحمد بعد البسملة.

- **من فضائل سورة الفاتحة:**

١- سبب أهمية هذه السورة يتضح من محتواها، فهي في الحقيقة عرض لكل محتويات القرآن، جانب منها يختص بالتوحيد وصفات الله، وجانب آخر بالمعاد ويوم القيامة، وقسم منها يتحدث عن الهداية والضلال باعتبارهما علامة التمييز بين المؤمن والكافر.

وفيها أيضاً إشارات إلى حاكمية الله المطلقة، وإلى مقام ربوبيته، ونعمه اللامتناهية العامة والخاصة (الرحمانية والرحيمية)، وإلى مسألة العبادة والعبودية واختصاصهما بذات الله دون سواه.

وإنها تتضمن في الواقع توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال وتوحيد العبادة.

٢- عن أبي أمامة عن أبي كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أيَّما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أعطي من الأجر كأنما قرأ ثلثي القرآن وأعطي من الأجر كأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة**»، وروي عن طريق آخر هذا الحديث بعينه ألاّ إنه قال: «**كأنما قرأ القرآن**»[١].

وتعبير (ثلثي القرآن)، ربما كان أشارة إلى أن القرآن ينطوي على ثلاثة أقسام: الدعوة إلى الله، والأخبار بيوم الحساب، والفرائض والأحكام، وسورة الحمد تتضمن القسمين الأولين.

٣- سورة الحمد شرف النبي صلى الله عليه وآله - القرآن الكريم يتحدث عن سورة الحمد باعتبارها هبة إلهية لرسوله الكريم ويقرنها بكل القرآن إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[٢].

---

(١) مجمع البيان: ج١، ص٤٨.

(٢) سورة الحجر: آية ٨٧.

نفس هذا المضمون رواه أمير المؤمنين علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إن الله أفرد الإمتنان عليَّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم، وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش**».

٤- تلاوة سورة فاتحة الكتاب المباركة تبعث الروح والإيمان والصفاء في النفوس، وتقرب العبد من الله، وتقوّي إرادته، وتزيد اندفاعه نحو تقديم المزيد من العطاء في سبيل الله، وتبعده عن ارتكاب الذنوب والانحرافات، ولذلك كانت أم الكتاب صاعقة على رأس إبليس كما ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «**إنّ إبليس أربع رنات، أولهن يوم لعن، وحين أُهبط إلى الأرض، وحين بُعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم على حين فترة من الرسل، وحين نزلت أم الكتاب**»[1].

٥- وقد ورد عن الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره يقول: ورد كتاب من ملك الروم إلى المتوكل العباسي يقول فيه: إنا نجد في كتبنا أن سورة نزلت من السماء خالية من سبعة أحرف من قرأها حرم الله جسده على النار فما وجدناها في التوراة ولا في الإنجيل فهل هي في قرآنكم وما هي؟

فجمع المتوكل الفقهاء وعرض عليهم الرسالة فما وصلوا إلى نتيجة فقيل له يا أمير اكتب إلى ابن الرضا علي محمد الهادي عليه السلام فكتب للإمام عليه السلام يسأله فأجابه الإمام عليه السلام هذه السورة وهي سورة الفاتحة وهي خالية من سبعة أحرف وهي (حرف الثاء، وحرف الجيم، وحرف الخاء، وحرف الزاي، وحرف الشين، وحرف الظاء،

(١) نور الثقلين: ج١، ص١٨.

وحـرف الفاء) ولما وصـل إليهم جواب الإمـام عليه السلام كتبوا له يطلبون منـه الدليل فأجابهم روحي فداه قائلاً: حرف الثاء من الثبور، وحرف الجيـم وحرف الخاء مـن الخيبة، وحرف الزاي مـن الزقوم، وحرف الشين من الشر، وحرف الظاء من الظلمة وحرف الفاء من الفاقة.

علمـاً ليس من قرأها حرم الله جسـده على النـار، فربما يقرأها كافر أو ناصـبي أو يهودي أو غيره لأن القرآن الكريم أصبح اليوم في متناول كل أحد فلا ينتفع قارئها ما لم يكن مؤمناً بالله ورسوله وأهل بيـت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقـد وردت أحاديث كثيرة عـن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام: «**أن من لم يأت بولاية علي والمعصومين من ولده لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً**»، وقد جاء في كتاب كشف الغمة[1].

عن ابن عباس قال: فقلت يا رسول الله أوصني، قال صلى الله عليه وآله وسلم: عليك بحـب علي بن أبي طالب، قلت: يا رسـول الله: أوصـني، قال صلى الله عليه وآله وسلم: عليـك بمودة علي بـن أبي طالب، والذي بعثني بالحـق نبياً إن الله لا يقبـل من عبد حسـنة حتى يسـأله عـن حب علي بن أبـي طالب وهو تعالى أعلم.

فـإن جاءه بولايته قبل عمله على ما كان فيه وإن لم يأته بولايته لم يسأله عن شيء وأمر به إلى النار.

٦- في كتاب ثواب الأعمال: بإسناده قال أبو عبدالله عليه السلام: «**إسم الله الأعظم مقطّع في أُمّ الكتاب**»[2].

---

(١) كشف الغمة للأربلي: ج٢، ص٦-٧.

(٢) نقلاً عن تفسير نور الثقلين: ج١، ص١٨ - مجمع البيان: ج١، ص١٠١.

٧- في أصول الكافي: عن عبدالله بن الفضل النوفليّ رفعه قال: «**ما قرأت الحمد على وجع سبعين مرة إلاّ سكن**»[١].

٨- عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**لو قرأت الحمد على ميّت سبعين مرة ثم ردّت فيه الروح ما كان ذلك عجباً**»[٢].

٩- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**فاتحة الكتاب تجزئ ما لا يجزء شيء من القرآن، ولو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفّة الميزان، وجعل القرآن في الكفّة الأخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات**»[٣].

١٠- في مجمع البيان: كتاب محمد بن مسعود العياشي، بإسناده أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لجابر بن عبدالله الأنصاري: «**يا جابر! ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه؟ قال: فقال له جابر: بلى، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، علّمنيها. قال: فعلّمه الحمد (أمّ الكتاب). ثم قال: يا جابر! ألا أخبرك عنها؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي فأخبرني. فقال: هي شفاء من كل داء إلاّ السّام (الموت)**»[٤]!

١١- الدر المنثور: عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنزل الله سبحانه وتعالى مائة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور في الفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفضل ثم أودع المفضّل**

---

(١) أصول الكافي: ح٢، ص٦٢٣.
(٢) نفس المصدر السابق: ص٦٢٣- مجمع البيان: ج١، ص١٠٠.
(٣) تفسير الثقلين: ص١٢١.
(٤) تفسير مجمع البيان: ج١، ص٤٨.

فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب»[1].

١٢- عن سلمة بن محمد، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «**من لم تبرئه الحمد لم يبرئه شيء**»[2].

١٣- عن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «**إذا كانت لك حاجة فاقرأ المثاني وسورة أخرى وصل ركعتين وادع الله.**

قلت: أصلحك الله وما المثاني؟ قال عليه السلام: فاتحة الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين)»[3].

١٤- عن إسماعيل بن مهران، قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «**إن (بسم الله الرحمن الرحيم) أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها**»[4].

١٥- أمالي الشيخ بإسناده، قال: قال الصادق عليه السلام: «**من نالته علة فليقرأ الحمد في جيبه سبع مرات، فإن ذهبت، وإلا فليقرأها سبعين مرة وأنا الضامن له العافية**»[5].

١٦- وروي أن رجلاً يسمى عبدالرحمن كان معلماً لأولاد في المدينة فعلّم ولداً للحسين عليه السلام يقال له جعفر، فعلّمه (الحمد لله رب العالمين) فلما قرأها على أبيه الحسين عليه السلام استدعى المعلم وأعطاه ألف دينار وألف حلة وحشاه دُرَّاً، فقيل له في ذلك؟ فقال عليه السلام: وأنّى تساوي عطيتي هذه بتعليمه ولدي (الحمد لله رب العالمين)[6].

---

(١) تفسير الثقلين: ص١٢٢.
(٢) البرهان: ج١، ص١٠٢.
(٣)(٤)(٥) تفسير البرهان: ج١، ص١٠٣.
(٦) البرهان: ج١، ص١٠٤.

١٧- وبإسناده إلى علي بن الحسين عليه السلام قال: «**ومن قال الحمد لله فقد أدّى شكر كل نعمة لله تعالى**»[١].

١٨- بإسناده إلى محمد بن مروان قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من قال إذا عطس الحمد لله رب العالمين على كل حال، لم يجد وجع الأذنين والاضراس**»[٢].

١٩- وبإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: «**من عطس ثم وضع يده على قصبة أنفه ثم قال: الحمد لله رب العالمين كثيراً كما هو أهله وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم، خرج من منخره الأيسر طائر أصغر من الجراد وأكبر من الذباب، حتى يصير تحت العرش، يستغفر الله له إلى يوم القيامة**»[٣].

٢٠- في الأصول عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا عطس المرء المسلم ثمّ سكت لعّلة تكون به قالت الملائكة عنه: الحمد لله رب العالمين، فإن قال: الحمد لله رب العالمين، قالت الملائكة: يغفر الله لك**».

٢١- الزمخشري في ربيع الأبرار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم فإن أمتي يأتون يوم القيامة وهم يقولون: (بسم الله الرحمن الرحيم) فتثقل حسناتهم في الميزان فتقول الأمم: ما أرجح موازين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول الأنبياء: إن ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت**

---

(١) تفسير نور الثقلين: ح١، ص٣٠.
(٢) نور الثقلين: ج١، ص٣١ - الكافي: ج٢، ص٦٥٦.
(٣) أصول الكافي: ج٢، ص٦٥٧.

في كفة الميزان ووضعت سيئات الخلق في كفة أخرى لرجحت حسناتهم»[1].

٢٢- العياشي: عن محمد بن سنان، عن أبي الحسين موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام، قال: قال أبي لأبي حنيفة: «**ما سورة أولها تحميد وأوسطها إخلاص وآخرها دعاء؟ فبقي متحيراً، ثم قال: لا أدري!**

فقال أبو عبدالله عليه السلام: السورة التي أولها تحميد وأوسطها إخلاص وآخرها دعاء سورة الحمد»[2].

وذلك لأن أول آية فيها بعد البسملة: (الحمد لله رب العالمين) وهو تحميد، وأوسطها قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين) وهذا منتهى الإخلاص لله عز وجل، وآخرها: (إهدنا الصراط المستقيم) إلى آخر السورة وهو دعاء.

٢٣- في العيون عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: قال الله عز وجل: «**قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سئل، إذا قال العبد: بسم الله الرحمن الرحيم قال الله جل جلاله بدء عبدي باسمي وحق علي أن أتمم له أموره، وأبارك له في أحواله، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين، قال الله جل جلاله: حمدني عبدي، وعلم أن النعم التي له من عندي وأن البلايا التي دفعت عنه بتطولي، أشهدكم أني أضيف له إلى نعم**

---

(١) تفسير البرهان: ج١، ص١٠٤.

(٢) تفسير الثقلين: ص١٢٣.

الدنيا نعم الآخرة وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا، وإذا قال الرحمن الرحيم، قال الله جل جلاله: شهد لي عبدي أني الرحمن الرحيم أشهدكم لأوفرن من رحمتي خطة ولأجزلن من عطائي نصيبه، فإذا قال: مالك يوم الدين قال الله تعالى: أشهدكم، كما اعترف بأني أنا المالك يوم الدين لأسهلن يوم الحساب حسابه، ولأتقبلن حسناته ولأتجاوزن عن سيئاته، فإذا قال: إياك نعبد، قال الله عز وجل: صدق عبدي، إياي يعبد أشهدكم لأثيبنه على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي، فإذا قال: وإياك نستعين قال الله تعالى: بي استعان عبدي ولي التجأ، أشهدكم لأعينه على أمره، ولأغيثنه في شدائده، ولآخذن بيده يوم نوائبه، فإذا قال: إهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة، قال الله عز وجل: هذا لعبدي ولعبدي ما سئل، وقد استجبت لعبدي وأعطيته ما أمّل وآمنته مما منه وجل»[1].

٢٤- عن الصادق عليه السلام: «**من نالته علّة فليقرأ الحمد في جيبه سبع مرات، فإن ذهبت، وإلاّ فليقرأها سبعين مرة وأنا الضامن له العافية**»[2].

(١) تفسير الميزان: ج١، ص٢٩ - تفسير الصافي: ج١، ص٨٨.
(٢) آمالي الطوسي: ج١، ص٢٩٠.

تفسير الإستعاذة

في تفسير الإمام عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام: (أُعوذُ) امتنع (بالله السميع) لمقال الأخيار والأشرار ولكل المسموعات من الإعلان والأسرار (العليم) بأفعال الأبرار والفجّار وبكل شيء مما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف يكون (من الشيطان) فالشيطان في اللغة كل متمرّد من الجنّ والإنس والدواب، لذلك قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾[1].

فجعل من الإنس شياطين كما جعل من الجنّ، وإنما سمّي المتمرد شيطاناً لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق جميع جنسه وبُعده عن الخير.

(الرجيم) المرجوم باللعن المطرود من بقاع الخير.

وفي المعاني عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم معنى (الرجيم) أنه مرجوم باللعن مطرود من الخير لا يذكره مؤمن إلا لعنه وإنّ في علم الله السابق إذا خرج القائم عليه السلام لا يبقى مؤمن إلا رجمه بالحجارة كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعن.

في تفسير الإمام عليه السلام والاستعاذة هي: ما قد أمر الله بها عباده عن قراءتهم القرآن فقال: فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون.

فالاستعاذة تطهير اللسان عما جرى عليه من غير ذكر الله ليستعد لذكر الله والتلاوة والتنظيف من تلوث الوسوسة.

---

(١) سورة الأنعام: آية ١١٢.

البسملة
آية من سورة الفاتحة

١- في التهذيب: بإسناده عن محمد بن علي بن محبوب عن العباس إلى عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن السبع المثاني والقرآن العظيم أهي الفاتحة؟ قال: نعم، قلت (بسم الله الرحمن الرحيم) من السبع؟

قال: نعم هي أفضلهن[١].

٢- روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات تمامها (بسم الله الرحمن الرحيم).

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن الله تعالى قال لي: يا محمد ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[٢] فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم[٣].

(١) تفسير البرهان: ج١، ص٩٩ فنقول عن التهذيب.
(٢) سورة الحجر: آية ٨٧.
(٣) تفسير البرهان: ج١، ص٩٩-١٠٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

أول آية في القرآن المجيد، وهي (بسم الله الرحمن الرحيم) وهي أعظم وأجل آيات القرآن المجيد، وقد حدّث الإمام الرضا عليه السلام في شأن (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال: «**إنها أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها**».

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**كل أمر ذي بالٍ لم يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر**».

أي أن كل قول وحركة وفعل، وأي عمل من الأعمال تقوم به فإنه إن لم يبدأ بالبسملة فلا نهاية تُرجى منه.

ويؤكد الإمام الصادق عليه السلام على أهمية البدء بها وعظمتها فيقول: «**لا تدعها ولو في شعر**» أي لا تغفل عنها ولو أنك تتلو أبياتاً من الشعر.

فالبسملة في سورة الحمد راجعة إلى الغرض الذي يدل عليه سرد الكلام في هذه السورة لأن الأغراض والمقاصد المحصلة من السور مختلفة، وأن كل واحدة منها مسوقة لبيان معنى خاص ولغرض محصل لا تتم السورة إلاّ بتمامه، وعلى هذا فالبسملة في مبتدأ كل سورة راجعة إلى الغرض الخاص من تلك السورة، والبسملة في سورة الحمد راجعة إلى حمد الله بإظهار العبودية له سبحانه بالإفصاح عن العبادة والاستعانة وسؤال الهداية، فهو كلام يتكلم به الله سبحانه نيابة عن العبد، ليكون متأدباً في مقام إظهار العبودية بما أدبه الله به. وإظهار العبودية من العبد هو العمل الذي يتلبس به

العبد، والأمر ذو البال الذي يقدم عليه، فالابتداء باسم الله سبحانه الرحمن الرحيم راجع إليه، فالمعنى بإسمك أظهر لك العبودية.

أحد علمائنا الأجلّاء خطّ بيده (**بسم الله الرحمن الرحيم**) ووصّى أن ترفق معه في كفنه وقال: إنها لأجل أن أخاطب بها ربّي وأقول إلهي أن أوّلَ جملة شريفة في كتابك وأول آية ووسام كل سورة فيها هي (**بسم الله الرحمن الرحيم**) إلهي فيها عاملني، برحيميّتك ورحمتك التي وسعت كل شيء.

جاء في الأحاديث المروية عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، أن من دعا الله عز وجل باسمه الأعظم استجيب دعاؤه وقضيت حاجته[1].

فهذا الاسم المبارك مفتاح كل حاجة ودواء كل علّة، والاسم الأعظم من الأسرار التي لا يعلم بها إلا المعصومون عليهم السلام وأصحاب أسرارهم.

- ما تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم»؟

سُئل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: ما تفسير «**بسم الله الرحمن الرحيم**»؟ قال عليه السلام: **إن العبد إذا أراد أن يقرأ أو يعمل عملاً يقول: «بسم الله» أي: بهذا الاسم أعمل هذا العمل، فكلّ أمر يعمله يبدأ فيه بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» فإنه يبارك فيه**[2].

---

(١) كما روي في قصة نبي الله سليمان عليه السلام: «قال الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا، وكان وزير سليمان وابن أخته وكان صدّيقاً يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب.. قال الكلبي: فخرّ آصف ساجداً ودعا باسم الله الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان».

(٢) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

فيجدر بالمسلم الذي يروم عملاً معيناً أن يقول: «**بسم الله الرحمن الرحيم**» سواء أراد أن يقرأ أو يكتب أو يتحدث أو يمسك قلماً يريد أن يكتب شيئاً ما، فلو لم يكن هناك عون من الله فلن يستطيع أن يكتب حتى كلمة واحدة.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**بسم الله الرحمن الرحيم**» **أحق ما أجهر به، وهي الآية التي قال الله عز وجل**: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾[1]، وقال عليه السلام: **الإجهار بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة واجب.**

- آثار بسم الله في صورتها الحقيقية:

إذا قال شخص باء بسم الله بمعرفة وعلى وجهها الحقيقي، ثم إذا سمعت أنه قد عبر على صفحة الماء، فصدّق ذلك لأنه أمر صحيح وواقعي، لأن كل ما في الوجود تجده في باء بسم الله موجود. أي على الإنسان أن يبعد القيام بذاته والاستقلال عن نفسه في جميع شؤونه.

- قصة:

كان واعظاً ارتقى منبراً وأخذ يتحدث، فذكر هذه الحقيقة: إعرفوا قدر بسم الله فلو قلتم بسم الله ومررتم على صفحة الماء، وكان يجلس عند المنبر أحد القرويين الذي كان يحضر إلى مجلس الواعظ بصعوبة من قريته لوجود نهر يقطع الطريق، فعندما سمع ذلك انسرّ وعندما أراد الرحيل طبق هذا القول وقال: بسم الله الرحمن الرحيم ووضع قدمه على الماء ومشى إلى الطرف الآخر،

(١) سورة الإسراء: آية ٤٦.

وعندما عاد في صبيحة الغد قال البسملة وعبر، مرت أيام على هذا الحال ثم فكر هذا القروي أن يستضيفه في منزله، فعلاً جاء مع الواعظ ولما وصلا إلى حافة النهر قال هذا الرجل القروي: بسم الله واجتاز الماء، وظن أن الشيخ يسير إلى الطرف الثاني فقال له: أيها الواعظ لماذا لا تأتي؟ قال الواعظ: لا يمكن، إن الذي تحوزه أنت لم أحزه أنا.

- باء «بسم الله»:

إعلم أن جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وجميع ما في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي هي تحت الباء.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا النقطة التي تحت الباء.

وهذا يعني أن جميع أسرار وعلوم القرآن الكريم وسائر الكتب السماوية عند أمير المؤمنين عليه السلام.

ابن عباس قال: أخذ بيدي الإمام علي عليه السلام في ليلة مقمرة فخرج بي إلى البقيع بعد العشاء، وقال: إقرأ يا عبدالله.

فقرأت: بسم الله الرحمن الرحيم.

فتكلّم لي في أسرار هذه الباء إلى بزوغ الفجر.

وهذا يعني إن العلوم والأسرار المودعة في باء (**بسم الله**) هي علوم غير متناهية وهي موجودة في وجوده المقدّس.. أي باء (**بسم الله**)

تساوي علي بن أبي طالب عليه السلام، بل هي عينه، لأن الخبر هو دائماً عين المبتدأ، وقوله عليه السلام: «**أنا النقطة تحت الباء**» جاء بصورة مبتدأ وخبر إن معلم عالم الخلق تحدث مع ابن عباس بخصوص أسراره عليه السلام، ولا عجب أن الوجود المقدّس لأمير المؤمنين علي عليه السلام هو «بسم الله الرحمن الرحيم» لكتاب تكوين الخلقة العظيم، كما هو الحال لخاتم الأنبياء محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فهو الكتاب التكويني العظيم لعالم الخلق.

إذاً القرآن التدويني بجميع خصائصه هو عين الكتاب التكويني، فإذا تحدث عليّ عليه السلام عن أسرار باء «**بسم الله**» أو أسرار وجوده المقدّس لابن عباس فلا فرق، فكلاهما شيء واحد، إلا أن أحدهما من جهة التدوين والآخر من جهة التكوين.

- الـ«باء»:

ذكرنا معنى الباء في «**بسم الله**» من الناحية المعنوية على لسان مولى المتقين أمير المؤمنين علي عليه السلام، وسنذكر معنى الباء من الناحية اللغوية والأدبية.

الباء حرف جر جاء بمعانٍ مختلفة منها:

١- **الإستعانة:** فيكون معنى «بسم الله»: أستعين بالله.

٢- **الابتداء:** فيكون معنى «بسم الله»: أبتدئ باسم الله.

٣- **الالتصاق:** فيكون معنى «بسم الله»: ألتصق باسم الله.

القول الأصح والأقوى هو أن تكون الباء بمعنى الإستعانة لأن هدف كل عبدٍ هو ذكر «بسم الله الرحمن الرحيم» في بداية الأعمال هو

في الواقع استمداد العون والمساعدة من الله عز وجل، لإتمام العمل بتوفيق ونجاح ويؤيّد ذلك قوله تعالى: «إياك نستعين».

- الـ«إسم»:

الـ«إسم» مشتق من كلمة الـ«سمو» بمعنى «الإعتلاء والرّفعة» وبعد حدوث الإعلال والإبدال أصبح بصورة الـ«إسم» وهو الكلمة التي توضع للأشياء وللأشخاص، وقد أخذت من تلك المادة لأنها أساس لارتفاع شأن صاحبها وإن أفضل الأسماء لأولاد المسلمين التي تعطيهم الإعتلاء والرفعة هي أسماء محمد وآل محمد عليهم السلام الجميلة، وأسماء أصحابهم وأنصارهم.

ففي زيارة الجامعة الكبيرة نخاطب محمداً وآل محمد عليهم السلام فنقول: «**فما أحلى أسماؤكم، وأكرم أنفسكم، وأعظم شأنكم**».

وقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أن «إسم» مأخوذ من «السمة» أي العلامة، وباسم الله تعني أني وسمت نفسي بسمة العبودية لله فأصبحت عبداً لله ونفيت عن نفسي عبادة غيره، وعبوديتي له وحده.

«الله»

«**الله**» هو اسم الذات الأحدية المقدسة والتي لها كل صفات الكمال، أي أن الإسم المبارك «**الله**» يعني كل الأسماء الحسنى وصفات الخالق العليا، فالخالقية والرازقية والإغاثة والإحياء والإماتة و.. كل صفات الخالق الألوهية والربوبية في هذا الاسم المبارك.

من أسماء الحق الخاصة التي ليست لغيره.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رجلاً قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن «بسم الله» ما معناه؟

فقال عليه السلام: **إن قولك «الله» أعظم اسم من أسماء الله عز وجل، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمى به غير الله، ولم يتسّم به مخلوق**[1].

يعتقد علماء التفسير أن لفظ الجلالة «الله» هو اسم مشتق، وهناك أقوال كثيرة في اشتقاقه نذكر بعضها:

١- إن كلمة «**الله**» من مادة «إله»، والتي تعني الحيرة، فالله «تحير فيه العقول» فلا أحد يمكنه إدراك حقيقته، نعم يمكن معرفة أفعاله وصفاته، يمكن معرفة آثاره، أما ذاته المقدسة فإنها تحيط بكل شيء ولا يحيط بها شيء.

وقد تعني كلمة «إله» الفزع «يفزع إليه كل مخلوق» أي يلجأ إليه، فكل مخلوق عند الشدة والاضطرار يصيح يا الله. عندما تنقطع به

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٢٧.

الأسباب فإنه يتوجه إلى الله بالفطرة، فحين يكون في سفينة تشرف على الغرق أو في طائرة أصيبت بخلل في الجو، أو في سيارة توشك على الإصطدام، فإنك ترى أنه يصرخ يا الله ويعود إلى خالقه.

وقد تعني كلمة «الإله» هو المستور عن حواس الخلق، المحجوب عن الأوهام والخطرات.

٢- «**الله**» هو المعبود الحق، والذي يستحق العبادة والذي له الخضوع والتذلل ولا يليق لأحد غيره[١].

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

كل ما عدا الله محتاج لله [٢] ومن لا يحتاج لغيره فهو أهل لأن يُعبد ويتذلل له، وتُمد له يد الحاجة ولا تُمد إلى غيره المحتاج إليه.

في كتاب الاصفي يقول المولى الفيض الكاشاني: «الله هو الذي يتألـه إليه كل مخلوق عند الحوائج والشدائد إذا انقطع الرجاء من كل مَنع دونه وتقطّع الأسباب من جميع من سواه[٣].

في كتاب التوحيد عندما سُئل الإمام الحسن العسكري في قول الله عز وجل (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال: الله هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء، من كل من دونه، وتقطع الأسباب عن جميع ما سواه يقول: بسم الله أي استعين على أموري كلّها بالله الذي لا يحق العبادة إلاّ له، المغيث إذا استغيث، المجيب إذا دعي، وهو ما قال رجل للصادق عليه السلام: يا بن

---

(١) ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾ سورة الحج: آية ٦٢.
(٢) ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾ سورة فاطر: آية ١٥.
(٣) كتاب الأصفى للكاشاني: ج١، ص٥.

رسـول الله دلّني على الله ما هـو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني فقال له: يا عبدالله هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم، قال: فهل كسر بك حيث لا سـفينة تنجيك ولا سـباحة تغنيك؟ قال: نعم، قال: فهل تعلّق قلبك هنالك أن شـيئاً من الأشـياء قادر على أن يخلّصـك من ورطتك؟ قال: نعم، قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث[1].

روي أن بعض الصحابة سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعلمهم إسم الله الأعظم، لشوق قلوبهم إلى ذلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**إقطع عن غيره وقل: يـا الله**» **أي خـذ بقلبـك عـن غير الله، ثـم قل: يا الله، لأن كل شـيء عاجز ما خلاه تعالى، حتى تعرف حقيقة ذلك اذهب إلى مقبرة دار السلام أو غيرها من مقابرالمسلمين ستجد عدداً كبيراً من الحكام والوزراء وأصحاب الجاه قد رقدوا فيها، من كل الفئات والطبقات، هـذه الدنيـا دار مؤقتـة زائلـة فكفانا القـول أنا ، أنا، فإنك ضـعيف وذليل، فإقطع القلب عن الجميع وقل: يا الله.**

(١) معاني الأخبار: ص٤-٥، باب (معنى الله عزوجل).

«الرحمن الرحيم»
رحمة الله الرحمانية والرحيمية

الرحمن الرحيم إسمان من أسماء الله الحسنى، والإسمان وإن كانا كلاهما يدلان على الرحمة المطلقة لله ولكنهما نوعان من الرحمة: «الرحمن إسم خاص لصفة عامة- والرحيم إسم عام لصفة خاصة».

الرحمن: اسم خاص لله ولا يسمّى به أحد وإن أُريد تسميةُ أحدٍ به فلا بد أن تسبقه كلمة (عبد) أي عبدالرحمن، أما اسم الرحيم فهو إسم عام أي أنه يسمى به الله كما يسمى به غيره.

- الرحمة قسمان:

١- **الرحمة الواسعة:** سميت بذلك لشمولها لجميع الخلق من مؤمن وكافر، وصالح وطالح، وجماد ونبات وحيوان، وهي خير (خير في بعض النسخ) الإيجاد، فهي وجود والوجود خير، فمنها الفضل، ومنها العدل، وهي صفة الرحمن، فتعمّ المؤمن والكافر في الدنيا.

٢- **الرحمة المكتوبة:** وهي الرحمة الخاصة، وهي محض الفضل في الحقيقة، وإن انقسمت في الظاهر إلى فضلٍ ومجازاة، وهي صفة الرحيم، فتخص المؤمن في الآخرة.

قوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] وهذه هي الرحمة الواسعة.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

وقال تعالى ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾[1] وهذه هي الرحمة المكتوبة، وهي خاصة بالمؤمنين، قال تعالى ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[2].

هذا معنى رواية، ومعنى آخر: تعلق الصِّفتين بالدنيا والآخرة، ففي الدعاء: (يا رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما).

ووجهٌ آخر: وهو أن الرحمن أكثر حروفاً من الرحيم، وزيادة المباني تدلُّ على زيادة المعاني، فتكون: الرحمن بالدنيا والآخرة، والرحيم بالآخرة.

فعلى الأولى: عموم صفة الرحمن للمؤمن والكافر في الدنيا، من جهة الفضل على المؤمن والعدل بالكافر، أو أنّه سبحانه تفضّل على المؤمن بما يستحقه لإيمانه، وعلى الكافر إتماماً للنعمة، لعلّه يتذكر نعمة الله أو يخشى عقوبته عليها بترك شكرها أو بزوالها، أو استدراجاً كما قال تعالى ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[3].

وأنه قد أجرى عدله على المؤمن بأن يؤاخذه بما يقع منه من الذنوب ولم يعفُ عنه، فيبتليه بالمرض والفقر، وموت النسل والهموم أو يسلّط عليه ظالماً يؤذيه أو جار سوء، أو غير ذلك فيكون ما أصابه كفارة لما وقع منه من الذنوب، وليعلم المؤمن أن الدنيا ليست بدار أمنٍ وثواب وراحة، فلا يرغب في الركون إليها.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٤٣.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٤٤.

وأنــه قد أجرى عدله على الكافــر ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[1] أو ليرغــب في الإســلام أو ليكــره الدنيا، لأن كثيراً فمــن كفر إنما كفر لرغبته في الدنيا.

فلا يُسلم حرصاً على الدنيا، فإذا تبيّن له فساد الركون إليها، وأنه لا يدرك مطلوبه آمن أو أنّ ذلك تقدمة لعذابه.. وغير ذلك.

وعلى الثاني: يرحم المؤمن في الدنيا، بأن يتفضّــل عليه بجزيل النّعــم، إنعاماً لباله، قال تعــالى ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2]، وأن يعفوا عن تقصــيراته وســيئاته تفضُّــلاً، فلا يُؤاخذه بشــيء من ذلك.

وهذا جهة الفضــل من الرحمة الواسعة، وذلك الفضل هو الرحمة المكتوبــة، فتجري علــى ذلك المؤمن بنعيم الأبد وملــك لا يبلى، وهذا صفة الرحيم.

وقــد تجري صــفة الرحيــم على الكافر فــي الدنيا بــأن ترفع عنه البلايا والمحن والفقر والهموم والأمراض، استدراجاً أو تذكير لنعمه عليــه، ولا تجــري عليه في الآخــرة إلاّ على نحو لا يحسّ بها، كما لو كانت له اســتحقاقات من الأعمال الظاهرة كما لو أعطى فقير شــيئاً مــن رقة قلبه، ولم يُجاز عليهــا في الدنيا، ثم تُفــرّق عليه في النار، حتى يُوفّاها وهو في النار مُفرّقة، بحيث لا يحس بالتخفيف.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٨٢.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٣.

رحمة الله بالشاب السكران:

روي عن ذي النون المصري أنه قال: أردت يوماً أن أذهب إلى شاطئ النيل، وخرجت من البيت فإذا بعقرب مسرعة، فقلت في نفسي لا بدّ أنها مأمورة فتبعتها حتى وصلت إلى شاطئ النيل ووقفت على الماء فجاءت ضفدعة إلى الضِّفّة فاسندت ظهرها إلى الجُرف فركبتها العقرب وحملت العقرب إلى الضّفّة المقابلة فقلت عجباً، فعبرت النهر بقارب فوجدت الضفدعة تلصق ظهرها إلى الجُرف فنزلت العقرب وذهبت مسرعة حتى اقتربت من شجرة تحتها شاب سكران ملقى على الأرض وعلى صدره أفعى تُقرِّب رأسها من فمه فانطلقت العقرب حتى وقفت على رقبة الأفعى فلدغتها فماتت الأفعى وعادت العقرب.

ركلت الشاب السكران برجلي وقلت له: ويلك، قم وانظر ما فعلت وما فعل الله بك، وأخبرته عن العقرب وأريته الأفعى الميتة، فاضطرب الشاب ووقع على قدميّ ذي النون تائباً.

«إنك تدعوني فأُولّي عنك وتتحبب إليّ فأتبغض إليك» و«تتودد إليّ فلا أقبل منك».

أما الرحمة الرحيمية:

فهي خاصة خاصة لعباده فقط، وليس لغير المؤمنين منها نصيب: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[1] أي إن رحمة رحيميته مختصة بعباده المؤمنين.

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٤٣.

وهـذه الرّحمـة وإن كانـت أخصّ مـن رحمـة الله الرحمانية التي تشـمل كل الموجودات، فالرحمة الرحيمية تشـمل بعض البشر إلاّ أنها من حيث النوعية والمقدار تفوق تلك الرحمة، فالرحمة الرحمانية في مقابل الرحيمية تعتبر محدودة جداً لأن الدنيا وما فيها بالنسـبة إلى الآخرة ونعيمها، الذي هو من الرحمة الرحيمية، كالقطرة إلى البحر.

فـي تعبير ورد في الرواية أن رحمة الله مائة شـعبة، واحدة منها في هذه الدنيا، وتسـع وتسعون رحمة تضاف إلى هذه الرحمة لتكون رحمة الله في الآخرة[1].

رحمة الله الرحمانية وإن عمّت وشملت كل شيء، ولكن بما أنها ليس لهـا البعد المعنوي والأزلي الدائمُ فهي ليسـت كافية لوحدها بل لا بد أن تكتمل بالرحمة الرحيمية، لذلك يقول القرآن الكريم ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾[2] فرحمة الله وإن عمت كل شـيء ولكن الانتفاع بها لما يبقى في الآخرة يكـون للمتقـين أهل الإيمـان، وإلاَّ فـإن الكفار والمشـركين يسـيئون اسـتخدام رحمة الله الرحمانية ويشترون سـخط الله وغضبه، فهي في الواقع عذاب لهم وليسـت رحمة، أي أنهـم يحولون هذه الرحمة بأنفسهم وبها يجرّون النار لأنفسهم.

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: الله رحيم بعباده ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة، وجعل رحمة واحدة منها في الخلق كلهم، فبها يتراحم الناس وترحم الوالدة ولدها وتحنن الأمهات من الحيوانات على أولادها، فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسع وتسعين رحمة فيرحم بها أمة محمد صلى الله عليه وآله، بحار الأنوار: ج٣.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٥٦.

- **نماذج من الرحمة للمؤمنين:**

الرّحمة الرحيمية التي خص الله بها المؤمنين لها أبواب وطرق كثيرة ولا يمكن إحصاؤها، وأشير بعض الأمثلة عليها.

١- يستفاد من الروايات أن المؤمنين إذا نوى عبادة تكتب له حسنة واحدة وإذا أدَّى تلك العبادة فعشر حسنات قوله تعالى في سورة الأنعام: آية ١٦٠ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أما في الذنب فلا تكتب على النية سيئة، وإذا اقترف السيئة كتبت له سيئة واحدة في صحيفته ذلك قوله ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

٢- من الأبواب الواسعة للرحمة الرحيمية هي التوبة جعلها الله لأهل الإيمان، ليس هناك ذنب لا يغفر، فليس أشدّ من الشرك والكفر شيء ومع ذلك فإن التوبة منهما تقبل، مع العلم أن التوبة من الشرك والكفر تكون بالإيمان بالله ورسوله ويوم الجزاء، وبذلك يصحُّ القول بأن التوبة لأهل الإيمان فقط، فلا بد أن يؤمن ليغفر له كفره أو شركه.

التوبة تنفع إذا كانت قبل الموت، ما دام يأمل بالحياة، أما إذا تيقن الموت فلا معنى للتوبة عندئذٍ لأن التوبة تعني الندم على ما فات والتصميم على عدم العودة إلى الذنب، ومن أشرف على الموت فليست أمامه فرصة لكي يصمم على ترك الذنب فيها، والقرآن الكريم ينص على أن التوبة حال الموت لا تنفع قوله تعالى ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ﴾[1].

(١) سورة النساء: آية ١٨.

لكل ذنب توبته، فترك الواجبات توبته أداء الواجبات وقضاء ما فات منها، وارتكاب المحرمات توبته ترك المحرمات والكفارة عنها إذا كان بها كفّارة.

كذلك لا توبة لمن يندم حال الاحتضار حين يرى آثار ذنوبه، فالندم ما كان لمعصية أمر الله إلاّ لرؤية العذاب.

وقد ورد للإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية مناجاة التائبين: «**إلهي أنت الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سميته التوبة، فقلت توبوا إلى الله توبة نصوحاً فما عذر من أغفل عن دخول الباب بعد فتحه**».

نعم، لله الحجة البالغة، فليس لأحد حجة على الله، فإذا قال: غلبتني الشهوة وغرني هواي فيقال له: ألم يكن باب التوبة مفتوحاً لِم لم تتب وتستغفر لتنالك رحمة الله فتطهرك من الذنب؟!

٣- تبديل السيئات حسنات بالتوبة، كما يصرح القرآن الكريم بذلك عمن تاب توبة حقيقية ومن أعماق قلوبهم ويغسلون أدرانهم بالحسرة والألم فيقول تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾[1]، فلا يغفر ذنوبهم فقط بل يثبت بدلها حسنات، ماذا يمكن أن يُقال عن ذلك غير أنها رحمة الباري عز وجل؟

(١) سورة الفرقان: آية ٧٠.

تفسير سورة الفاتحة
«الحمد لله رب العالمين»

في عصر نزول القرآن كان في الجزيرة العربية وفي كثير من مناطق العالم، آلهة تعبد من دون الله، كما كانت عبادة الأفراد رائجة، وإلى ذلك يشير القرآن في خطابه لليهود والنصارى إذ يقول ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1] فقد اتخذ هذا الإنحراف فيما مضى صورة عبادة الآلهة المتعددة وعبادة الرهبان والأحبار، ويتخذ اليوم صور أخرى، وتتميز كل الصور تشتت المجموعة البشرية وتمزقها، وانحطاطها في العقل والإرادة. وخط التوحيد الذي دعا إليه الأنبياء يتميز بنبذ الآلهة المتعددة، وهداية البشرية نحو الإله الواحد الأحد، وبذلك ينشأ المجتمع الموحِدّ الموّحد. وانطلاقاً من هذه الأهمية القصوى للقضاء على الآلهة المتعددة جاء التأكيد القرآني بقول: (الحمد لله رب العالمين) هذا التأكيد يتلوه الإنسان المسلم عشر مرات في صلواته اليومية -على الأقل- لتترسخ فكرة التوحيد. وفكرة رفض ربوبية كل الأرباب والآلهة، غير ربوبيّة الله رب العالمين.

-(الحمد لله):

الحمد: لغة: الشكر والرضا والجزاء.

وقالوا في تعريف «الحمد»: أن الحمد هو الثناء باللسان على

(١) سورة التوبة: الآية ٣١.

الجميل الاختياري أي الأعمال الصالحة التي تصدر من الإنسان باختياره سواء انتفع المُثني من هذا العمل الصالح أم لا.

كذلك الحمد لله: يعني على ما أنعم الله به علينا، في العيون وتفسير الإمام عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سُئل عن تفسيرها فقال: هو أن الله عرّف عباده بعض نعمه عليهم جملاً إذ لا يقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف فقال: قولوا الحمد لله على ما أنعم به علينا.

وفي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله إلا أدى شكرها**».

الألف واللام في (الحمد) هي لاستغراق الجنس، لعلمنا أن كل حمد وثناء يختص بالله سبحانه دون سواه.

ثناؤنا على الآخرين كالأنبياء والمصلحين والصالحين والمعلمين والأطباء المعالجين إنما هي في الأصل من ذاته المقدسة، وبعبارة أخرى حمد هؤلاء هو حمد لله والثناء عليهم ثناء على الله تعالى.

إذن (الحمد لله) معناها أن الأوصاف الجميلة، والثناء الحسن، كلها لله الذي تحق له العبادة، لكونه قادراً على أصول النعم، وفاعلاً لها، ولكونه منشأ للخلق، ومربّياً لهم، ومصلحاً لشأنهم، وفي الآية دلالة على وجوب الشكر لله على نعمه، وفيها تعليم للعباد كيف يحمدونه.

وفي كشف الغمة عن الصادق عليه السلام قال: فُقد لأبي عليه السلام بغلة فقال: لئن ردها الله عليّ لأحمدنه بمحامد يرضيها فما لبث أن أتى بها بسرجها ولجامها فلما استوى وضم إليه ثيابه رفع رأسه إلى

السماء وقال: (الحمد لله) ولم يزد، ثم قال: ما تركت ولا أبقيت شيئاً جعلت أنواع المحامد لله عز وجل، فما من حمد إلا وهو داخل فيها[1].

(الله) الإله، الله والإلهُ هو المستحق للعبادة، ولا يحقُّ العبادة الإلهُ، وتقول: لم يزل إلهاً بمعنى أنّهُ يحقُّ له العبادة، ولهذا لمّا ضلَّ المشركون فقدّروا أنّ العبادة تجب للأصنام سموها آلهةً وأصلهُ إلا لاهة وهي العبادةُ ويقال: أصله الألهُ، يقال: أله الرجل يأله إليه، أي فزع إليه من أمر نزل به، وألههُ أي أجاره[2].

(رب العالمين): يقول الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي في كتابه شرح الجامعة الكبيرة: الرب: هو المالك، والصاحب والسيد والمصلح والمربي والمدّبر المنعم. هذه كلها معانٍ للرَّب، وبإضافته إلى (العالمين) تظهر فائدة إضافته في المالك والمربي والسيد والمصلح والمدبِّر والمنعم.

وأما الصَّاحب فإذا أريد به المالك أريد هنا، وإن أريد به معناه المشتق من المصاحبة فيجوز أيضاً إطلاقه على الله تعالى بمعنى أنّه مع كل شيء، وبمعنى المحيط بكل شيء، كما في الدعاء: «**يا صاحب كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى**»[3] أي: أنَّه الحاضر عندها، والمحيط بها، والمطّلع عليها، والذي بأمره تقوَّمت النجوى.

أما الشيخ ناصر مكارم الشيرازي يقول في تفسيره الأمثل:

أما كلمة «رب» ففي الأصل بمعنى مالك وصاحب الشيء الذي

---

(١) الميزان: ج١، ص٢٣-٢٤.
(٢) كتاب التوحيد: ص١٩٥-١٩٦.
(٣) شرح الجامعة الكبير: ج١، ص١٠٩.

يهتم بتربيته وإصلاحه وكلمة (ربيبة) وهي بنت الزوجة، مأخوذة من هذا المفهوم للكلمة، لأن الربيبة تعيش تحت رعاية زوج أمها.

والكلمة بلفظها المطلق تعني ربّ العالمين، وإن أطلقت على غير الله لزم أن تضاف. كأن نقول: رب الدار أي مالكها، ورب السفينة أي صاحبها، ورب البيت أي صاحبه ورئيس العائلة.

وذكر صاحب تفسير (مجمع البيان) معنى آخر للرب، وهو السيد المطاع، ولكن لا يبعد أن يعود المعنيان إلى أصل واحد[1].

وجاء في (عيون الأخبار) و(تفسير الإمام العسكري عليه السلام) عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في تفسير (رب العالمين) أنه قال: «**يعني مالك الجماعات من كل مخلوق، وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون، يقلّب الحيوانات في قدرته، ويغذوها من رزقه ويحوطها بكنفه، ويدبّر كلاً منها بمصلحته، ويمسك الجمادات بقدرته، ويمسك ما اتّصل منها عن التهافت، والمتهافت عن التلاصق، والسماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، والأرض أن تنخسف إلا بأمره**»[2].

في كتاب التوحيد (الرب): معناه المالك أو كل من ملك شيئاً فهو ربّه ومنه، قوله عز وجل ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[3] أي إلى سيدك ومليكك[4].

---

(١) الأمثل: ج١، ص٣٨.
(٢) تفسير الصافي: ج١، ص٨٣ - الأصفي في تفسير القرآن: ص٦.
(٣) سورة يوسف: الآية ٥٠.
(٤) كتاب التوحيد: ص٢٠٣ (باب اسماء الله تعالى).

وجاء في تفسير البرهان في تفسير (رب العالمين) قال: خالق الخلق.

وفي شرح الزيارة الجامعة الكبيرة جاء في معنى (العالمين):

العالمين جمع عالم بفتح اللاّم اسم لما يعلم به كالخاتم لما يختم به غُلِّب فيما يعلم به الصانع سبحانه مما سوى اللّه أو أنه اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين.

وقيل يراد به هنا الناس لأن كل واحد منهم عالم مستقل لأنّه انموذج من العالم الكبير ولأنّ فيه جميع ما في العالم الكبير من الأملاك والأرض وأقواتها وما فيها من الجبال والشجر والمطر والبرق والرعد والنبات وغير ذلك مما يعلم به الصانع سبحانه وجُمعَ لئلا يتوهم أنّ الألف واللام لاستغراق أفراد شخص واحد[1].

صاحب المنار يقول: «ويؤثر عن جدنا الإمام جعفر الصادق عليه الرضوان أن المراد بـ(العالمين) الناس فقط»[2].

يقول الشيخ الأوحد قُدِّسَ سِرُّهُ في تفسيره كلمة (العالمين): هي جمع عالم وهو -أي: العالم- صنف من الموجودات، فالجمع: لاستغراق العوالم، والألف واللام لاستغراق أفرادها، يدلُّ عليه ما رواه في العلل عن الرضا عليه السلام عن جدِّه أمير المؤمنين عليه السلام حين سُئل عن العالمين فقال: «**رب العالمين: وهم الجماعات من كل مخلوق من الجمادات والحيوانات...**»[3].

---

(١) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: ج١، ص١٠٩.
(٢) الأمثل: ج١، ص٣٩.
(٣) تفسير الشيخ الأوحد: ص١٤٩.

كذلك قال الشيخ الأوحد قُدِّسَ سِرُّه في كتابه شرح الزيارة الجامعة الكبيرة:

كلمة «العالمين» جميع أجناس العوالم بعموم الجمع المحلَّى بالألف واللام، وجميع أفرادها بعموم الألف واللام، المراد منها الاستغراق، وهو ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام -كما في تفسير العسكري عليه السلام، وعيون الأخبار- في تفسير (الحمد لله رب العالمين) قال عليه السلام: «**قولوا: الحمد لله رب العالمين، وهم الجماعات من كل مخلوق من الجمادات والحيوانات**»[1].

وفي تفسير المبين معنى (رب العالمين) الرب هو السيد المالك، والعالمين الخلق كله وكلمة الرب بلا قيد لا تطلق إلا عليه تعالى، وتطلق على غيره مع القيد كرب الدار ورب الضيعة.

والسيد عبدالله شبر في تفسيره قال: (رب العالمين) مالك الجماعات من كل مخلوق وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم ومدّبر أمورهم وحافظهم والعالم كالطبائع ما يعلم به الصانع من الجواهر والأعراض وإنما جمع والتعريف الاستغراقي يفيد الشمول للدلالة على أن للعالم أجناس مختلفة الحقائق كعالم الأرواح وعالم الأفلاك وعالم العناصر ونحوها وربوبيته تعالى شاملة لها وجمع بالواو والنون لما فيه من معنى الوصفية من الدلالة على العالم فغلب العقلاء واختص بهم.

(**الحمد لله رب العالمين**) فإنه هو الذي يستحق الحمد، لأن كل جميل منه، وكل خير من عنده وهو رب العالمين، الذي أوجدهم

(١) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: ج٣، ص٣٤٦.

وربّاهم، والتربية تطلق على الإنشاء والاستمرار، والعالمين إشارة إلى عـوالم الكون من جن وملك، وإنســان وحيوان، ونبــات وجماد، وروح وجسد وغيرها.

قولــه عز وجـل: (الحمد لله) إنما هو أداء لمـا أوجب الله عز وجل على خلقه من الشــكر والشكر لما وفق عبده من الخير (رب العالمين) توحيد وتحميد له وإقرار بأنه هو الخالق المالك لا غيره[1].

(**الرحمن الرحيم**) ذكر الشيخ الطبرسي في تفسير مجمع البيان وإنمـا أعاد ذكـر الرحمــن الرحيم للمبالغــة، وقال علي بن عيســى الرماني: في الأول ذكر العبودية، فوصــل ذلك بشــكر النعم التي بها يســتحق العبــادة، وها هنا ذكر الحمد، فوصــله بذكر ما به يســتحق الحمد من النعم، فليس فيه تكرار.

أمــا المــيرزا عبدالرســول الأحقاقي قُدِّسَ سِرُّهُ في تفســيره (تفســير الثقلين) قال:

١- للتأكيــد، فإذا أراد العرب أن يؤكدوا أمــراً في كلامهم فإنهم يكرّرون ذكره مثاله في الآية المباركة ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾[2] فإن كلمة «الحق» كرّرت في هذه الآيــة للتأكيد، كذلك الحال في الآية المباركة ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[3] كرّر للتأكيد، فكل المكرّرات في الأمثلة أعلاه إنما جاءت للتأكيد على أمر معين، وكذلك تكــرار (الرحمن الرحيم) في ســورة الفاتحة المباركــة التي هي أول

(١) تفسير البرهان: ج١، ص١١٧.
(٢) سورة ص: الآية ٨٤.
(٣) سورة التكاثر: الآية ٣-٤.

سورة في القرآن الكريم جاء للتأكيد على رحمة الله عز وجل، ولتكون بشارة وداعية اطمئنان لقلوب المؤمنين وأملاً للعاصين، وهذا التكرار المحتوي على البشارة والأمل هو رحمة أيضاً وفوق الرحمة.

٢- إن صفة الرحمة الإلهية هي أوسع من جميع أوصاف وأسماء الله عزّ وجل، يقول الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[١].

ولذا بعد أن ذكرت جميع أوصاف الله عز وجل بشكل مجمل في هذه السورة المباركة كررت صفة الرحمة الإلهية لشمولها جميع المخلوقات.

أما الشيخ ناصر مكارم الشيرازي يقول في معنى (الرحمن الرحيم) أن هاتين الصفتين تتكرران في البسملة والحمد، «والملتزمون» بذكر البسملة في سورة بعد الحمد يكررون هاتين الصفتين في صلواتهم اليومية الواجبة ثلاثين مرة، وبذلك يصفون الله برحمته ستين مرة يومياً، والقرآن يركز على علاقة الرحمة والرأفة بين رب العباد والعباد حيث يقول: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[٢].

هذه العلاقة نستحضرها مرات يومياً إذ نقول (الرحمن الرحيم) لنربّي أنفسنا تربية صحيحة في علاقتنا بالله، وفي علاقتنا بأبناء جنسنا.

أما الشيخ عبد علي الحويزي قال في تفسيره أن (بسم الله

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.
(٢) سورة الزمر: الآية ٥٣.

الرحمن الرحيم) قال الله جل جلاله: بدأ عبدي باسمي وحق عليّ أن أتمم له أموره وأبارك له في أحواله فإذا قال (الحمد لله رب العالمين) قال جلّ جلاله: حمدني عبدي وعلم أن النعم التي له من عندي، وأن البلايا التي دفعت عنه فبتطولي (الامتنان) أشهدكم أنّي أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا وإذا قال: (الرحمن الرحيم) قال الله جلّ جلاله: شهد لي عبدي أنّي الرحمن الرحيم، أشهدكم لأوفرن من رحمتي حظه، ولأجزلن من عطائي نصيبه[1].

يقول السيد محمد الشيرازي في تفسيره (الحمد لله رب العالمين) فإنه هو الذي يستحق الحمد، لأن كل جميل منه، وكل خير من عنده، وهو رب العالمين، الذي أوجدهم وربّاهم والتربية تطلق على الإنشاء والاستمرار، والعالمين إشارة إلى عوالم الكون من جن وملك، وإنسان وحيوان ونبات وجماد وروح وجسد وغيرها.

(**الرحمن الرحيم**) تكرار للتأكيد الإفادة إنّ الرب ليس طاغياً، كما هو الشأن في غالب الأرباب البشرية[2].

أما الميرزا عبدالرسول الحائري الأحقاقي في كتابة تفسير الثقلين يقول:

لعل تكرار (الرحمن الرحيم) بعد قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) هو إشارة إلى أن تربية الله عز وجل المستفادة من كلمة (رب العالمين) ليست هي لأجل حاجة أو نفع ذاتي(كما هو الحال في أصحاب التربية الأخرى الذين لهم هدف نفعي، إما مادي أو

(١) تفسير نور الثقلين: ج١، ص١٩.
(٢) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج١، ص٣٣-٣٤.

معنوي) بل هي تربية من الكريم جل وعلا لمخلوقاته من باب الرحمة والإحسان.

- **(مالك يوم الدين):**

هذه الآية الشريفة تلفت الأنظار إلى أصل هام من أصول الإسلام وهو يوم القيامة فتعبير (مالك) يوحي بسيطرة الله التامة وهيمنته المستحكمة على كل شيء أي إقرار له بالبعث والحساب والمجازات وإيجاب ملك الآخرة له كإيجاب ملك الدنيا وقد جاءت كلمة (الدين) في القرآن الكريم بمعانٍ كثيرة هي: الحساب، الحكم، الأمة، الطاعة، الجزاء، والتوحيد، وكلها مناسبة لقوله تعالى: (مالك يوم الدين) ولكن الأنسب منها جميعاً هو «الجزاء» وهو إشارة مباشرة إلى يوم القيامة لأن القيامة يوم يصل فيه كل إنسان إلى جزاء عمله قوله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]، وقد يسأل سائل فيقول: لماذا خصّ الله تعالى في هذه الآية المباركة مالكيّته ليوم الدين وهو في الواقع وحقيقة الأمر مالك لجميع عوالم الإمكان ومنها يوم المحشر؟!

والجواب هو **أولاً**: أن الله سبحانه هو مالك لعالم الدنيا والآخرة ولكن مالكيته ليوم القيامة أبرز وأظهر، لأن الارتباطات المادية والملكيات الاعتبارية تنفسخ كلها في ذلك اليوم قوله تعالى ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ قل ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[2].

على خلاف هذه الدنيا الدنيئة حيث يدّعي الملكية فيها الكثير مجازاً ومن باب الجهل والغفلة.

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٨.

(٢) سورة غافر الآية ١٦.

ثانياً: لعل ذلك للتعظيم والتفخيم لهذا اليوم العظيم الذي سيكون القاضي فيه هو الله عز وجل، والجالس على منبر القضاء في ذلك اليوم هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسيكون ميزان العدل بيد أمير المؤمنين علي عليه السلام، حتى الشفاعة لا تتم يومئذ إلاّ بأمر الله للسيدة الزهراء المرضية وأولادها الأئمة المعصومين عليهم السلام.

التركيز على مالكية الله ليوم القيامة يقارع من جهة أخرى معتقدات المشركين ومنكري المعاد، لأن الإيمان بالله عقيدة فطرية عامة، حتى لدى مشركي العصر الجاهلي وهذا ما يوضحه القرآن إذ يقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[1] بينما الإيمان بالمعاد ليس كذلك، فهؤلاء المشركون كانوا يواجهون مسألة المعاد بعناد واستهزاء ولجاج قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾[2].

وقد روي عن علي بن الحسين السجاد عليه السلام: «**أنّه كان إذا قرأ (مالك يوم الدين) يكررها حتى يكاد يموت**».

وفي مجمع البيان: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن الله تعالى منَّ عليّ بفاتحة الكتاب إلى قوله (مالك يوم الدين) قال جبرائيل: ما قالها مسلم إلاّ صدّقه الله وأهل سمائه**»[3].

---

(١) سورة لقمان: الآية ٢٥.
(٢) سورة سبأ: الآية ٧-٨.
(٣) مجمع البيان: ج١، ص١٠٩.

وفي تفسير الإمام عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**أكيس الكيّسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وإنّ أحمق الحمقاء من اتبع نفسه هواه وتمنّى على الله تعالى الأماني**»، وفي حديث آخر: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا**».

وهذا دلالة على لكل إنسان أن يفرغ من حسابه ووزن عمله في دار الدنيا بحيث لا يحتاج إليهما في الآخرة وهو كذلك عند أولي الألباب.

وأما سبب تسمية هذا اليوم بيوم الدين، فلأن يوم القيامة يوم الجزاء من قولهم كما تدين تدان، و(الدين) في اللغة (الجزاء)،، والجزاء أبرز مظاهر القيامة، ففي ذلك اليوم تكشف السرائر ويحاسب الناس عما فعلوه بدقة، ويرى كل فرد جزاء ما عمله صالحاً أم طالحاً. وفي حديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: «**يوم الدين هو يوم الحساب**» (والدين) استناداً إلى هذه الرواية يعني (الحساب) والدليل على ذلك قوله ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ يعني يوم الحساب. وقد يكون هذا التعبير من قبيل ذكر العلة وإرادة المعلول، لأن الحساب دوماً مقدمة للجزاء.

- **(إياك نعبد وإياك نستعين):**

في هذه الآية يتغيّر لحن السورة حيث كانت الآيات السابقة دارت حول حمد الله والثناء عليه والإقرار بالإيمان والاعتراف بيوم القيامة إلى هذه الآية التي يبدأ فيها دعاء العبد لربه والتضرع إليه، حيث يستشعر الإنسان بعد رسوخ أساس العقيدة ومعرفة الله في نفسه حضوره بين يدي الله، يخاطبه ويناجيه أولاً عن تعبّده ثم يستمد

العون منه وحده دون سواه: (إيّاك نعبد وإياك نستعين) إيّاك: مفعول نعبد، والكاف حرف خطاب لا محل لها من الإعراب، والمعنى نعبدك، وتقدم المفعول بقصد اختصاص العبادة بالله وحده وهذا لا يعني إنكار عالم الأسباب وتجاهل المسببات، بل يعني الإيمان بأن تأثير الأسباب إنما كان بأمر الله، فالله سبحانه هو الذي يمنح النار خاصية الإحراق، والشمس خاصية الإنارة، والماء خاصية الإحياء.

وثمرة هذا الاعتقاد أن الإنسان يصبح معتمداً على (الله) دون سواه، ويرى أن الله هو القادر العظيم ويرى ما سواه زائلاً، وهو وحده سبحانه اللائق بالإتكال والإعتماد عليه في كل الأمور. أي نعبدك ولا نعبد سواك، كما إذا قال الرجل: إياك أعني، فمعناه: لا أعني غيرك، ويكون أبلغ من أن يقول أعنيك، والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه، لأنها الخضوع بأعلى مراتب الخضوع مع التعظيم بأعلى مراتب التعظيم، وتفسير العبودية هو بذل الكل، وسبب ذلك منع النفس كما تهوى، وحملها على ما تكره.

ومفتاح ذلك ترك الراحة وحب العزلة وطريقة الافتقار إلى الله تعالى، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وحروف العبد ثلاثة: (ع ب د) فالعين علمه بالله، والياء بونه عمن سواه، والدال دنوه من الله تعالى بلا كيف ولا حجاب، وأصول المعاملات تقع على أربعة أوجه كما ذكرها الإمام الصادق عليه السلام: «**معاملة الله، معاملة النفس، معاملة الخلق، ومعاملة الدنيا**»[1].

في تفسير البرهان: قد ورد على عبد الملك بن مروان رجل من

(١) مصباح الشريعة: ص٧-٨.

القدريــة، فقال مروان ما لهذا إلاّ محمد بن علي، فكتب إلى صــاحب المدينــة أن يحمــل محمد بن علــي عليه السلام إليه، فأتاه صــاحب المدينة بكتابه، فقال له أبو جعفر عليه السلام: إني شيخ كبير لا أقوى على الخروج وهــذا جعفر إبنــي يقوم مقامي فوجهــه إليه، فلما قــدم على الأموي ازدراه لصــغره وكــره أن يجمــع بينه وبــين القدريّ مخافــة أن يغلبه وتســامع الناس بالشام بقدوم جعفر لمخاصمة القدريّ، فلما كان من الغد اجتمع الناس لخصــومتهما فقال الأمــوي لأبي عبدالله عليه السلام: إنــه قد أعيانا أمر هذا القــدري وإنما كتبت إليك لأجمع بينك وبينه، فإنه لم يدع عندنا أحداً إلا خصمه، فقال: إن الله يكفيناه، قال: فلما اجتمعوا، قال القدري لأبي عبدالله عليه السلام: ســل عما شــئت، فقال له اقرأ ســورة الحمد، قال فقرأها، وقال الأموي وأنا معه، ما في سورة الحمد علينا، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قال: فجعل القدري يقرأ سورة الحمد حتى بلغ قول الله تبارك وتعالى: (إياك نعبد وإياك نســتعين) فقــال له جعفر عليه السلام: قف من نســتعين، وما حاجتــك إلى المعونة إن كان الأمر إليك، فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين[1].

أمــا الســيد محمد الشــيرازي يقول فــي كتابه: (إيــاك نعبد) أي عبادتنــا وخضــوعنا لك، وقــدّم (إياك) لأفــادة الحصــر. (وإياك نســتعين) أي نطلب الإعانة، فإنه هو الذي بيده كل شيء. فالاستعانة منه، والإتيان بالتكلم مع الغير، لإفادة كون المسلمين كلهم منخرطين في هذين السلكين، سلك العبادة لله، وسلك الإستعانة به[2].

في تفســير الصــافي: جاء في تفســير هذه الآية أنّ الله عز وجل

(١) تفسير البرهان: ج١، ص١٢١.
(٢) كتاب تقريب القرآن إلى الأذهان: ج١، ص٣٤.

خاطب عباده وقال: قولوا يا أيّها الخلق المنعم عليهم إيّاك نعبد أيّها المنعم علينا نطيعك مخلصين موّحدين مع التذلل والخضوع بلا رياء ولا سمعة.

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**يعني لا نريد منك غيرك لا نعبدك بالعوض والبدل كما يعبدك الجاهلون بك المغيبون عنك**»[1].

كما هو قول أمير المؤمنين علي عليه السلام المشهور: «**إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك**»، بمعنى أنّ العبادة لا تكون لأجل النار أو الجنة بل هي لله عز وجل فقط، (إياك نعبد) أي نعبدك أنت فقط دون غيرك، ولا أجعل في عبادتي لك أي شريك أو بديل.

وبما أنه لا يمكن للعبد الذليل الوصول إلى المقام الشامخ للعبودية إلا بمساعدة رب الأرباب والذات الغنية والجامعة للكمالات كافة، لذا بعد أن قال: (إياك نعبد) يقول مباشرة: (وإياك نستعين) يعني يا رب استعين على طاعتك وعبادتك وعلى دفع شرور أعدائك ورد مكائدهم والمقام على ما أمرت[2].

بعبارة أخرى: حين نقول (إياك نعبد) فإن هذه الجملة يشم منها رائحة الاستقلالية لذلك نتبعها مباشرة بعبارة (إياك نستعين)، كي نجسّم حالة الأمر بين الأمرين (لا جبر ولا تفويض)، في عباداتنا، ومن ثم في كل أعمالنا.

---

(١) تفسير الصافي: ج١، ص٨٤.
(٢) نفس المصدر السابق.

وفي كتاب رسائل الحكمة: سُئل الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي من بعض الإخوان المخلصين من العلماء العارفين الطالبين للحق واليقين حيث قال: إن المعلّي حين يقول إياك نعبد وإياك نستعين كيف يقصد المخاطب بخاطبه؟ وأي معني يعقد قلبه عليه هل يقصد الذات الغير المدركة بصفةٍ من صفاته الجمالية ولا الجلالية أم يقصد شيئاً آخر؟

فكان رد الشيخ الأوحد قُدِّسَ سِرُّهُ كالآتي: الله سبحانه وتعالى لا يُدرك من نحو ذاته بكل اعتبار وإنما يدرك بما تعرّف به لعبده فكلّ شيء يعرفه بما تعرّف به له فتشير العبارات إليه بما أوجدها عليه وتشير القلوب إليه بما ظهر لها به ولا سبيل إليه إلاّ بما جعل من السبيل إليه وهو جل شأنه يظهر لكل شيء بنفس ذلك الشيء كما أنّه يحتجب عنه به وإلى ذلك الإشارة بقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**لا تحيط به الأوهام بل تجلّى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها وكل مظهر لك به فهو مقام من مقامات ذاته فيك وحرف من حروف ذاتك به فمن وصل إلى رتبةٍ قد ظهر سبحانه له فيها تبين له أن المطلوب وراء ذلك وأنّ هذا الذي حسبه إيّاه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب**» وهكذا وإليه الإشارة بقول الحجة عليه السلام في دعاء رجب «**ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلاّ أنّهم عبادك وخلقُك**» فهذه المقامات هي التي دعاك إليها فيتوجّه إليها قلبك فيجده عندها كما يتوجّه وجه جسدك إلى بيته الكعبة فيجده عندها وتعبّدك بأن تدعوه وتعبُده فيها بلا كيف ولا وجدان إلاّ لما أوجدك من ظهوره لك وأنّه في كل مقام أقرب إليك من نفسك وليس

مـا وجدته ذاتاً بحتاً ولـو كان ذاتاً بحتاً لجاز أن تدرك الذات البحت والـذات البحت في الأزل وأنـت في الإمكان فيكون مـا في الإمكان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وإلى ذلك أشـار أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها**» وقول الرضا عليه السلام: «**وأسماؤه تعبير وصفاته تفهيم**»، وقول الصـادق عليه السلام: «**كلّما ميزتموه بأوهامكم في أدّق معانيه فهو مثلكم مخلوق مردود عليكم وذلك لأنه سبحانه هو المجهول المطلق والمعبود الحق**» فإذا قلـت (إيّاك نعبد) كنت قد قصـدت شـيئاً مخاطبـاً وقيد الخطاب ذلك على مخاطبٍ والمخاطـبُ لا يُدْرَك منه إلاّ جهة الخطاب كقولك يـا قاعـد لا تدرك من ذلـك المدعو إلاّ جهـة القعـود، وإن كنت يعني الموصوف بالقعود لأنّ الموصـوف غيّب الصفة عند الواصف حتّى أنّه عنده أقرب إليه من الصفة وأظهر منها له لكن الواصف لا يُدرِك إلاّ جهة الصـفة من الموصوف كما قال الرضـا عليه السلام: «**وأسماؤه تعبير وصفاته تفهيم**»[1].

قد يتساءل أحد من الأفراد:

١- لمـاذا جاء كلمـة (إياك نعبد وإياك نسـتعين) بصـيغة الجمع بينمـا القارى لها هو شـخص واحد مفرد؟ فينبغـي أن يُقال (أعبد وأستعين)؟

٢- ولماذا تقدمت (العبادة) على الإستعانة؟

الجـواب: أولاً: إنّ لسـان حـال العبد في عبادتـه أنه يقول لله عز وجل: يا إلهي، إن عبادتي لا تسـتحق أن تُقدّم إليك من حيث الظاهر

(١) رسائل الحكمة: ص٦٠-٦١.

والباطن، فمن حيث الظاهر هي قليلة جداً وحقيرة لا تستحق الذّكر، ومن حيث الباطن فهي مصحوبة بالقصور والتقصير، فلذا أقدم لك هذه البضاعة المزجاة مضافة إلى عبادة جميع العباد، واذكرها لك بصيغة الجمع لعلها تحظى بأهلية التقديم لعظمتك وجلالك.

ولعل سر ذلك أيضاً هو الاحتراز من الوقوع في الكذب لأننا لسنا بمعصومين وتصدر عنّا السيئات، فلا نُؤمن من الضعف أحياناً أمام أهل الدنيا والخضوع لهم، فنطلب منهم قضاء الحاجات، ونستعين بمن هم مثلنا في الفقر والعجز عن كل شيء، من نفع أو ضرّ، أو حياة أو موت أو حشر، لذلك نحن نقدّم عبادتنا السقيمة في طبق عبادات أولياء الله الخلّص، نقدّمها لمالك الدنيا والآخرة، فنقول ونحن بمأمن من احتمال الوقوع في الكذب (إيّاك نعبد وإياك نستعين).

ويقول «الغزالي» في سر استعمال ضمير الجمع: إن هذه السورة (سورة الحمد) تقرأ عادة في صلاة الجماعة، وصلاة الجماعة أفضل من الصلاة فرادى، لذا كانت الأفعال فيها بصيغة الجمع والمراد جماعة المصلين.

ثانياً: تعليل تقديم ذكر فعل العبادة (نعبد) على فعل الاستعانة (نستعين) لأن:

١- إن العبادة وخصوصاً الصلاة، هي أمانة لله عز وجل لدى عباده والمراد من الأمانة في هذه الآية -كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام- أن ظاهر الأمانة الفرائض وخصوصاً الصلاة، وباطنها الولاية، ولاية أهل بيت النبوة عليهم السلام، وبما أن أداء الأمانة واجب وخصوصاً أمانة الله ذي الجلال والإكرام، فيجب تقديمها بأي حال كان.

٢- العبـادة أيضـاً من الأمور التي توجب تقـرب العبد من الله عز وجل أما الاسـتعانة فليسـت كذلك، وعلى هذا قدِّم فعل العبادة على فعل الاستعانة.

ثالثاً: إن العبادة هي طلب من الله عز وجل إلى عباده، أما الاستعانة فهي طلب العباد من الله عز وجل، وتقديم طلب الله على طلب العباد له الأفضلية علماً أن كلمة (نعبد) في الآية (إياك نعبد) تعني العبادة والتوحيد، قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[1].

فالعبادة هي عبادة الله الواحد الأحد، وأن أهم وأعلى وأسمى مقام ودرجة لأولياء الله عز وجل أمام عظمة وكبرياء الله جل وعلا هو مقام العبودية أي إظهار غاية الخضـوع والخشـوع لله عز وجل، والإحساس بمنتهى درجات الخضـوع والذل أمامه جـلّ وعلا، ولو دقّقنا في حياة أولياء الله وخصوصاً محمد وآل محمد عليهم السلام لرأينا أنهم قضوا عمرهم الشـريف من أوّله إلى آخره في عبادة الله عز وجل، فهم على الدوام منقادون ومطيعون للإرادة الإلهية وما نقل لنا من أوصـاف لعبادتهم فهي أوصاف ظاهرية أما حقيقة عبادتهم ومقامهم عند الله عز وجل فهـو مما لا تدركه عقولنا، لأن مقامهم أسـمى مـن مقامنا بما لا يعدّ من المراتب، ولا يمكن للدّاني أن يدرك مقام العالي أبداً.

حول حديث الإمام الصادق عليه السلام:

رُوي عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «**لقد تجلّى الله لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون**»[2].

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٢) تفسير الشيخ الأوحد: ص١٦١.

ورُوي: أنّه كان يصلي في بعض الأيام، فخرّ مغشياً عليه في أثناء الصلاة، فسُئل بعدها عن سبب غشيته، فقال: «**ما زلت أردِّدُ هذه الآية حتى سمعتها من قائلها**».

قال بعض العارفين: إنَّ لسان الصادق عليه السلام كان في ذلك الوقت كشجرة الطور عند قول: (إنِّي أنا الله).

أفيدوا أنّ هذا السّماع من القائل أيُّ معنًى له؟

فلو قيل (إيايَ اعبُد وإياي استعن)، يقول: (إيّاك نعبد وإياك نستعين)، فالقول قول العابد لا قول المعبود، وهذا الاستماع بهذا الأذن الجسماني، أيُّ معنى له؟

فمعنى تجليّه في كلامه، ظهوره بكلامه في كلامه، ومعنى ذلك: أنّ الكلام لا يقوم بدون ما يستند إليه، وذلك المستند إليه هو جهة التّكلم من المتكلّم.

فمن أشعر بظهوره له فقدَ نفسه، لأنّه عرفها، وهو قول علي عليه السلام لكميل: «**جذب الأحديّة لصفة التوحيد**» ومن لم يشعر، جهل نفسه.

فكان الصادق عليه السلام لمّا أشعر بالتجلي، فقد نفسه، إذ عرفها فخرَّ مغشيّاً عليه، وكثيراً ما تكون هذه الحالة على جدّه صلى الله عليه وآله وسلم والأوصياء عليهم السلام لأنَّه تجلّى له، كما تجلّى لموسى عليه السلام إلاّ أنّ المتجلِّي لموسى عليه السلام مثل سمِّ الإبرة من نور الستر، وجعفر عليه السلام تجلى له جميع نور السِّتر.

معنى العبودية

في كتاب تفسير الثقلين أوضح مؤلفه الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي قُدِّسَ سِرُّهُ معنى العبودية وقال العبودية جاء في القرآن الكريم بعدة معانٍ أهمها:

١- بمعنى العبادة والتوحيد كما في قوله تعالى ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾[١].

٢- بمعنى الطاعة كما في قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾[٢] أي لا تطيعوا الشيطان.

٣- بمعنى الذّلة والحقارة كما في قوله تعالى: ﴿أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[٣] وهو خطاب على لسان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لفرعون أن قال له: إنك قد أذللت وحقّرت بني إسرائيل.

٤- بمعنى الدعاء كما يقول الإمام علي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في دعاء وداع شهر رمضان المبارك: «**وقلت ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين، وسميت دعاءك عبادة وتركه استكباراً**»[٤].

كل المعاني السابقة تصدق على الآية المباركة: (إياك نعبد) إلاّ أن المعنى الأول الذي هو عبادة الله الواحد الأحد هو المراد. وإن أهم

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.
(٢) سورة يس: الآية ٦٠.
(٣) سورة الشعراء: الآية ٢٢.
(٤) الصحيفة السجادية: ٢٩٤، رقم ١٤٢.

وأعلى وأسمى مقام ودرجة لأولياء الله عز وجل أمام عظمة وكبرياء الله جل وعلا هو مقام العبودية أي إظهار غاية الخضوع والخشوع لله عز وجل، والإحساس بمنتهى درجات الخضوع والذل أمامه جلّ وعلا، وكلما كان هذا الإحساس في العبد أعمق وأقوى كان ترقّيه في مقامات القرب الإلهي أكبر وأسرع حتى يصل إلى مقام لا يرى فيه إلاّ الله عز وجل وفي كتاب رسائل الميرزا محمد باقر الإسكوئي يقول مؤلفه الميرزا قدس سره في معنى العبودية:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**العبودية جوهرة**»[1] معناه ما قاله عليه السلام: «**العبد ثلاثة أحرف، العين علمه بالله، والباء بونه عن الخلق، والدال دنوه من الخالق بلا كيف ولا إشارة**»[2].

فالعبودية عبارة عن العلم بالله وما أراده من توحيده (في المراتب الأربعة الذات والصفات والأفعال والعبادة) ومعرفة مظاهر أمره ونهيه (كما في الزيارة الجامعة الكبيرة: **والمظهرين لأمر الله ونهيه وعباده المكرمين**) من أنبيائه وأوليائه وحججه صلوات الله عليهم أجمعين، والعلم بما يقرب العبد منه سبحانه وما يبعده ويحجبه عنه من التكاليف الظاهرية والباطنية، وعن العمل والاشتغال بأوامره، والتحرز والاجتناب عن مناهيه وما يكرهه بظاهره، وعن رؤية الحسنات في باطنه، وعن الالتفات إلى ما سوى الله بقلبه وهذا

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام: «العبودية جوهرة كنهها الربوبية،فما فُقد في العبودية وُجد في الربوبية، وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية».

(٢) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وحروف العبد ثلاثة (ع ب د) فالعين علمه بالله، والباء بونه عمن سواه، والدال دنوه الله تعالى بلا كيف ولا حجاب» مصباح الشريعة: ص٨.

معنى قوله عليه السلام: «**بونه من الخلق، ودنوه من الخالق بلا كيف ولا إشارة**» وذلك هي العبودية التشريعية التي هي روح العبودية التكوينية التي هي عبارة عن جميع خلقه وملكه كلٌ بحسب رتبته من وجوده.

أما الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي (الأوحد) فقد ذكر في كتابه الكشكول وقال: **العبودية: «هي الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود»**.

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العبد الحقيقي وقال: «**الدين طاعة الله حلاوتهم، وحب الله لذاتهم، وإلى الله حاجاتهم، ومع الله تجارتهم وعلى الله اعتمادهم، وحسن الخلق عاداتهم والسخاء حرمتهم والهدى مركبهم، والتقوى زادهم، والقرآن حديثهم وذكر الله جليسهم، والفقر لباسهم، والجوع طعامهم، والظمأ شرابهم، والحياء قميصهم، والدنيا سجنهم، والشيطان عدوهم، والحق جارهم، والموت راحتهم، والقناعة زينتهم، والفردوس مسكنهم**»[1].

فخواص العبد الحقيقي هكذا صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!

- مراتب العبودية:

وقد ذكر الميرزا محمد باقر الإسكوئي في رسائله إن للعبودية ثلاث مراتب:

١- **المرتبة الأولى:** عبودية الحقيقة المحمدية لله تعالى: فهي مطلقة بحيث لا يشذ عنها جهة من جهات العبودية ولا يكون في الإمكان عبودية أعلى منها وأجمع لجهاتها وأشمل لنسبها وإضافاتها، وهذه

(١) كشكول الإحسائي: ص٧٦.

مظهر الربوبية المطلقة الحقيقية، وحامل لعامة شؤوناتها وظهوراتها، ولا يسعها شيء غيرها وهو قوله تعالى في الحديث القدسي: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن**»، وهذا العبد المؤمن الواسع لظهوره سبحانه بصفة التكلم الذي هو الاسم الأعلى المهيمن لما سواه من الأسماء، والمخلص الصادق بحقيقة العبوية وكمال الفقر والمسكنه هو صاحب الولاية المطلقة والسلطنة الكبرى الكلية الحقيقية، الحقيقة المحمدية عليهم السلام، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة في وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**استخلصه من القدم على سائر الأمم، على علم منه، انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، انتجبه آمراً وناهياً عنه، وأقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه**»، إلى أن قال في وصف العترة الطاهرة: «**ثم اختص لنفسه من بعد نبيه من بريته خاصة علاهم بتعليمه، وسما بهم إلى رتبته**» وذلك مقام الوساطة الكلية، والعصمة الذاتية الحقيقية تشريعاً وتكويناً.

٢- **المرتبة الثانية:** عبودية الأنبياء لله تعالى: هذه عبودية الأنبياء والرسل فإن عبوديتهم لله لا تكون إلاّ بولاية الأربعة عشر صلوات الله عليهم ومحبتهم لكونهم حاملين لولايته سبحانه ومظاهر لها، ووسائط الربوبية، فلا تكون الأنبياء عبوديتهم لله تكويناً وتشريعاً وكونهم قابلين ومستأهلين لفيض آثار الربوبية إلاّ بالعبودية لهم عليهم السلام، فعبوديتهم لله فرع وتابعة لعبودية محمد وآل محمد عليهم السلام له وأثرها، وإن كانوا بالنسبة إلى من دونهم متبوعين في العبودية وحججاً عليهم.

فالأنبياء ما اختلفوا في كونهم مرسلين وغيرهم (وأولي العزم وغيرهم إلاّ من اختلاف عبوديتهم للأئمة عليهم السلام والخضوع لهم،

والعزم لإقامة حدود ولايتهم، بتحمل الأذى والمشاق في تبليغ أحكام ولايتهم، فتكون عصمة الأنبياء عن عصمتهم عليهم السلام كنسبة عبوديتهم إلى عبوديتهم، إذ العصمة هي القيام بمقتضى العلم، وأن لا يتخلف في جزئي ولا كلي، ولا كل ولا جزء من جهات علمه ومعرفته، ولا شك أن علم جميع الأنبياء (في علمهم) كالذرة في القفر، وكذلك عصمتهم وعبوديتهم، وهو ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام لطارق بن شهاب في وصف الأئمة عليهم السلام: «**إن علم الأنبياء في علمهم، وسرّ الأوصياء في سرّهم، وعزّ الأولياء في عزّهم كالقطرة في البحر والذرة في القفر**».

كذلك الربوبية الظاهرة في حقائق الأنبياء وسائر مراتبهم لهم ولغيرهم بهم عند ما هو كنه عبودية المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام من الربوبية حرفاً بحرف بلا تفاوت.

٣- **المرتبة الثالثة:** عبودية سائر الخلق لله تعالى:

عبودية سائر الخلق أي الإنسان والملك والجن والحيوان والجماد والنبات على حسب رتبة وجودهم طولاً وعلى قدر اختلاف أفراد كل رتبة سلوكاً تشريعاً أو حصولاً تكويناً في العرض وعلى تعدد مراتب تنزلات كل رتبة إلى انتهاء تمامها طولاً في العرض، فكل واحد له عبودية خاصة بحسبه من الرتبة وذلك قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[2].

---

(١) سورة مريم: الآية ٩٣.

(١) سورة فصلت: الآية ١١.

فالإنسان في عبوديته لا يمكنه الوصول إلى أدنى مراتب العصمة وإن بلغ فيها ما بلغ، كيف وحقيقته وذاته من شعاع الأنبياء أهل العصمة، وعبوديته أثر من هيئة عبوديتهم، كلما يسير ويصعد في مدارج مراتبها لا تنتهي المسافة أبداً، إذ الشيء لا يتجاوز حدّه (انتهى المخلوق إلى مثله).

كذلك الربوبية التي هي كنه هذه العبودية في الربوبية الظاهرة لأهل العصمة كنسبة عبوديتهم من دون تفاوت، وهكذا مرتبة الجن عند الإنسان، والحيوان عند الجن، والنبات عند الحيوان، والجماد عند النبات، عبودية كل سافل عند عاليه وربوبيتهما الظاهرة فيها نسبة الشعاع من المنير والأثر من المؤثر.

ولأمير المؤمنين علي عليه السلام كلام بليغ ودقيق جداً حول العبودية الحقيقية أوردها الميرزا عبدالرسول الأحقاقي في تفسيره الثقلين وسوف انقلها تيمناً وتبركاً:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً الله ذي الجلال والإكرام: «**كفى بي فخراً أن أكون لك عبداً وكفي بي شرفاً أن تكون لي ربّاً، اللهم إني وجدتك إلهاً كما أردت، فاجعلني عبداً كما أردت**».

وقد جاء في تفسير أبي حامد الجرجاني ما مضمونه: إن أحد الصادقين ذهب إلى السوق ليشتري غلاماً، فلما عرض عليه أحدهم قال له: ما اسمك؟

قال: فلان.

قال: ما عملك؟

قال: العمل الفلاني.

قال: لا أريده.

فجيء له بآخر فسأله: ما اسمك؟

قال: ما تدعوني به.

قال: ماذا تأكل؟

قال: ما تعطيني.

قال: ماذا تلبس

قال: ما تلبسني.

قال: ماذا تعمل؟

قال: ما تأمرني به.

قال: ما تختار؟

قال: ما للعبد والاختيار.

- **(اهدنا الصراط المستقيم):**

بعد أن يقرّ الإنسان بالتسليم لربّ العالمين، ويرتفع إلى مرحلة العبودية لله والاستعانة به تعالى، يتقدم هذا العبد بأول طلب من بارئه وهو الهداية إلى الطريق المستقيم، طريق الإيمان والعمل الصالح ليهبه الله نعمة الهداية بعد أن وهبه جميع النعم الأخرى.

فالإنسان طبعاً عارفاً بربِّه ومؤمن به ولكن تجده معرّض دائماً في كل لحظة لعوامل كثيرة جداً وخطرة في محاربة دينه على أيدي شياطين الإنس والجن لتزل قدمه وتدمّر دينه وإيمانه. من هنا كان عليه لزاماً أن يكرر عشر مرات في اليوم على الأقل طلبه من الله أن يقيه العثرات والانحرافات، إضافة إلى ذلك أن الصراط المستقيم

هـو ديـن اللّٰه، وله مراتب ودرجات ومهما سـما الإنسـان في مراتبه فثمة مراتب أخرى أبعد وأرقى، والإنسان المؤمن توّاق دوماً إلى السير حثيثاً على هذا السـلّم الإرتقائي، وعليه أن يستمد العون من اللّٰه في ذلـك، وأهـم وأثمـن نعمة علينـا أن نطلبها من اللّٰه عـز وجل مع كل نفس متنفسة هي إدامة الهداية والإستقامة في السير على الصراط المسـتقيم، لذلك يقول سـيّد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام: «**أدم لنا توفيقك الذي به أطعناك به في ما مضى من أيامنا، حتى نُطيعك في مستقبل أعمارنا**»[1].

فالعبـد محتاجـاً إلى الهدايـة فـي جميع أمـوره آناً فآنـاً ولحظة فلحظة إلا أن الإنسان قد يزلُّ وترد عليه الخواطر الفاسدة، فيحسن أن يسـأل اللّٰه تعالى أن يثبته على دينه، ويديمه عليه ويعطيه زيادات الهدى التي هي إحدى أسـباب الثبات على الدين كما قال اللّٰه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾.

فالهداية، بمعنى الإرشـاد والدلالة الموصلة إلى المطلوب، أو إلى ما يوصل إلى المطلوب.

والصـراط المسـتقيم هـو صـراطان: صـراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الطريق المسـتقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصـير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، وأما الطريق الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنة[2].

(١) تفسير الصافي: ج١، ص٨٥ – تفسير نور الثقلين: ج١، ص٣٧.
(٢) نقلاً عن نور الثقلين: ج١، ص٣٨ – تفسير الثقلين: ص٢٠٣.

معنى هذا الحديث (أما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير) هذا هو الحدّ الوسط والاستقامة والثبات ما بين هذين الحدين، بأن المؤمن يجب أن لا يغالي في مقامات أهل بيت النبوة عليهم السلام، والغلو هو أن ينسب إلى أحدهم أو إليهم الألوهية، ويعبدهم كآلهة، فهذه العقيدة هي شرك، والمعتقد بها كافر ومن أهل جهنم، كذلك أن لا يكون من المقصرين فينكر الدرجات العالية والمقامات الرفيعة التي أعطاها الله عز وجل لهؤلاء المعصومين الأربعة عشر الذين هم الواسطة العظمى بين الحق والخلق، وقطب دائر الإمكان. وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الإنكار معادل للشرك، ومنكري مقامات أهل بيت العصمة عليهم السلام العالية هم حتماً من أهل جهنم ويستحقون اللعن**».

في المعاني وتفسير الإمام عن الإمام الصادق عليه السلام قال في تفسير (اهدنا الصراط المستقيم)، أرشدنا إلى الصراط المستقيم، أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك والمبلغ دينك، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب أو نأخذ بآرائنا فنهلك[1].

وفي تفسير القمي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في تفسير الآية المباركة (الصراط المستقيم) هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته[2].

وفي معاني الأخبار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام[3].

---

(١) نقلاً عن تفسير الصافي: ج١، ص٨٥ - نور الثقلين: ج١، ص٣٨ - تفسير الثقلين: ص١٩٩.
(٢) تفسير نور الثقلين: ج١، ص٢٨.
(٣) معاني الأخبار: ج٢، ص٣٢.

والدليل على أنّه أمير المؤمنين قول الله عز وجل ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[1].

وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أُم الكتاب في قوله (اهدنا الصراط المستقيم).

في معاني الأخبار عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الصراط، فقال: «**هو الطريق إلى معرفته عز وجل وهما صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه، مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردّى في نار جهنم**»[2].

في من لا يحضره الفقيه، وفيما ذكره الفضل من العلل عن الرضا عليه السلام أنه قال: «**(اهدنا الصراط المستقيم) استرشاد لدينه، واعتصام بحبله واستزادة في المعرفة لربه عز وجل ولعظمته وكبريائه**»[3].

في مجمع البيان: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله تعالى منّ عليّ بفاتحة الكتاب.. إلى قوله (اهدنا الصراط المستقيم) صراط الأنبياء وهم الذين أنعم الله عليهم[4].

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٤.
(٢) معاني الأخبار: ج١، ص٣٢، كذلك نقلاً عن تفسير البرهان: ج١، ص١١٨.
(٣) نقلاً عن تفسير نور الثقلين: ج١، ص٣٦.
(٤) مجمع البيان: ج١، ص١٠٩.

وفيه قيل في معنى (الصراط) وجوه: أحدها أنه كتاب الله وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن علي عليه السلام[1].

يلزمنا أن نذكر أنَّ الطريق المستقيم هو طريق واحد لا أكثر، لأنه لا يوجد بين نقطتين أكثر من خطّ مستقيم واحد، يشكل أقصر طريق بينهما، من هنا كان الصراط المستقيم في المفهوم القرآني، هو الدين الإلهي في الجوانب العقائدية والعملية، ذلك لأن الدين أقرب طريق للإرتباط بالله تعالى. من هنا كان الدين الحقيقي واحد لا أكثر قوله ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[2]. إذن يتضح أن التفاسير المختلفة للصراط المستقيم تعود كلها إلى معنى واحد.

فقد قالوا: إنه الإسلام، إنه القرآن، إنه الأنبياء والأئمة.

وقالوا: إنه دين الله الذي لا يقبل سواه.

كل هذه المعاني تعود إلى نفس الدين الإلهي في جوانبه الاعتقادية والعملية والروايات الموجودة في المصادر الإسلامية تعود جميعها إلى أصل واحد منها:

-عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**اهدنا الصراط المستقيم صراط الأنبياء وهم الذين أنعم الله عليهم**».

- عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية المباركة (اهدنا الصراط المستقيم).

قال: «**الطريق هو معرفة الإمام**».

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩.

وعنه أيضاً: «**والله نحن الصراط المستقيم**».

وعنه أيضاً: «**الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته**».

ومن الواضح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام دعوا جميعاً إلى دين التوحيد الإلهي، والالتزام به عقائدياً وعملياً.

والخلاصة معنى الآية المباركة (اهدنا الصراط المستقيم) قيل: ادْلُلْنَا عليه وثبّتنا، وعن الصادق عليه السلام: «**ارشدنا للزوم الطريق المؤدّي إلى محبتك، والمُبلِّغ إلى رضوانك وجنتك، والمانع أن نتَّبِعَ أهواءنا فنعطب أو نأخذ بآرائنا فنهلك**»[1].

وأن الصراط المستقيم عبارة عن معرفة محمد وآل محمد عليهم السلام بأنوارهم، والالتزام بالولاية المطلقة لهم، والإقرار بفضائلهم ومقاماتهم العالية، وهذه الدرجات السامية قد أعطاهم الله عز وجل إياها، ولا يشاركهم فيها أي موجود من الأولين والآخرين، وجميع الموجودات هي تحت لواء ولايتهم سلام الله عليهم.

والصراط المستقيم هو أيضاً عبارة عن اتِّباع دين ومعالم وإرشادات أولئك الرّبانيين في الأمور العقائدية، وفي الأحكام الشرعية، فيتّبع المسلم مذهبهم والذي هو مذهب الإمامية الاثني عشرية الحق، لساناً وقلباً وعملاً، فهو الصراط المستقيم وطريق الجنة فقط لا غير، وليس هناك طريق للنجاة في الدنيا والآخرة غير طريق أهل البيت عليهم السلام.

وقد روى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره، بإسناده عن الإمام

---

(١) تفسير الميزان: ج١، ص٣٨.

الصادق عليه السلام أنه قال عن الصراط: «**هو أدَقّ من الشَّعر، وأحدّ من السيف، فمنهم من يمر عليه مثل البرق، ومنهم من يمر عليه مثل عدو الفرس، وفيهم من يمر عليه ماشياً، ومنهم من يمر عليه حبواً، ومنهم من يمر عليه متعلقاً فتأخذ النار منه شيئاً وتترك منه شيئاً**»[1].

أي أن كيفية عبور الإنسان على الصراط في الآخرة ترتبط بشكل مباشر بوضعه في الدنيا. فالمؤمن في الدنيا بمعرفته بالمعصومين عليهم السلام وخصوصاً المقام الشامخ للولاية والإمامة، فإنه كلما كسب من فيضهم ونورهم أكثر كلما اتّضح له الطريق (الصراط) في الآخرة لأنهم عليهم السلام هم منبع النور في الدنيا والآخرة دون غيرهم. أما الذي لا يعرفهم في هذه الدنيا أو كانت معرفته لهم على نحو التقصير أو الإنكار فإنه في الصراط الأخروي سيكون محروماً من النور، وسيتعثّر بظلمات وعقبات الصراط، وستكون عاقبة أمره السقوط في درك جهنم قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[2] أي من لم يجعل الله له نوراً في الدنيا فسوف لا يكون له نور في الآخرة.

أما الإمام الصادق عليه السلام قال في تفسيره للآية المباركة ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ أي إماماً من ولد فاطمة عليها السلام ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ أي إمام يوم القيامة[3] فكل من كان اتّباعه لمذهب أهل البيت عليهم السلام في هذه الدنيا أكثر كان عبوره على الصراط يوم القيامة أسرع،

(١) تفسير الصافي: ج١، ص٨٥ - تفسير القمي: ج١، ص٥٨.
(٢) سورة النور:الآية ٤٠
(٣) الكافي: ج١، ص١٩٧، تفسير الشيخ الأحود الأحسائي: ص١٧٣.

بل سيكون عبوره عليه مثل البرق، وكل من كان اتباعه لهم أقل كان عبوره على الصراط أبطأ، ومن لم يكن له أي اتباع لهم فسيقع في نار جهنم، أما من بلغت معرفته واتباعه لأمير المؤمنين علي عليه السلام درجة الكمال فستكتمل فيه صورة الإنسانية وسيكون أهلاً لأن يوصف بأنه إنسان كامل، وسينسب إليه الكمال الإنساني كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الصورة الإنسانية هي الطريق المستقيم إلى كل خير**» وسيهدي في النهاية إلى طريق الجنة.

وفي روايه تقول: أنه مظلم يسعى الناس عليه قدر أنوارهم[1].

معنى مظلم أي لا يهتدي إليه إلاّ من جعل الله له نوراً يمشي به في الناس يسعى الناس عليه على قدر أنوارهم.

وفي وصفه عليه السلام: «**هو أدق من الشعر وأحَدُّ من السيف**».

يقول الشيخ الأوحد الأحسائي في تفسيره: إنّما كان أدقُّ من الشَّعر، لأنَّه سطر قلم الابداع، ولذلك يكون على أصحاب الأفئدة أوسع ممَّا بين الأرض والسَّماء.

وإنَّما كان أحدُّ من السَّيف، لأنَّه يشق الأقدام إلاّ لمن خففَّ من كثافة بشريّته وثقلها، وما ذكر عليه من أحوال السَّائرين عليه غير خفي على ذوي الألباب.

- ما معنى كون الصِّراط أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السَّيف؟

يقول الشيخ الأوحد الأحسائي في تفسيره: اعلم أنّ الصراط

(١) تفسير الصافي: ج١١، ص٨٥.

المستقيم: هو طريق اللّه إلى خلقه، وطريق خلقه إليه، فيُطلق ويُراد به الإمام عليه السلام.

وقد يراد به: الولاية الخاصة.

وقد يراد به: الولاية العامة.

وقد يراد به: ظواهر التَّكاليف.

وقد يراد به: بواطنها.

وقد يراد به: معرفة النّفس أو النفس.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الصورة الإنسانيّة هي الصِّراط المستقيم إلى كل خير، والجسر الممدود بين الجنّة والنار**»[1].

فإن أريد به طريق اللّه إلى خلقه، فالمراد به: وجودهم التكويني والتشريعي، وليس وجودهم من حيث هو صراطاً، وإنْ صدق عليه ببعض التّوجيهات، بل من حيث هو نور اللّه كما قال عليه السلام: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»[2].

وهو أبداً قائمٌ بفعل ربِّه قيام صدور وتحقق أي طرّي أبداً.

وكونه طريقاً للخلق إلى اللّه، إنّ استمداد وجودهم التكويني والتشريعي باستعداداتها الأوّلية والعقليّة والنفسانية والمثالية، والجسمية والبشرية وبالمشاعر الأولية والعقلية والخيالية والفكرية، وبالميل الأولي الجزئي والتركيبي وبهيآته وأوضاعه وأقواله وأعماله

(١) تفسير الصافي: ج١١، ص٨٥.
(٢) الاختصاص: ص٣٠٧- بصائر الدرجات: ص٣٥٥.

وحركاته وسكناته وخطراتها ونسبه، وإضافاته وكلّ ما منه وبه وله وإليه، كل ذلك بتلك الاستعدادات والقابليات، وطريقهم في ذلك التكويني والتشريعي إلى الله سُبحانه وذلك هو ظهوره لهم بهم وأن أريد به ولاية الإمام الخاصة التي هي المحبّة والإيمان بأنّه الإمام المفترض الطاعة الذي لا يقبل الله الأعمال إلاّ بحبّه التام، المشتمل على إثباته، ونفي ما سواه فذلك صراط الله إليهم في التكليف، وصراطهم إليه في القبول.

وإن أُريد به الولاية العامة: فهو الوجود المطلق الذي به الوجود المقيَّد، ولا شكَّ أنّه أشدّ الأشياء استدارة على ربّه، فهو الذي خلقه بنفسه، وهو الصراط الكلي الأول وليس صراط أدقّ منه، ولا أحدُّ منه، وفيه عقبات كؤد، لا يقطعها بسهولة إلاّ محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، وفيه عقبات يقف عندها كثير من آل محمد (صلوات الله عليهم) وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا علي! لا يعرفك إلاّ الله وأنا، ولا يعرفني إلاّ الله وأنت ولا يعرف الله إلاّ أنا وأنت**» وأنا أريد به: ظواهر التكاليف، فأنت تجد من نفسك أنّك لا تقدر على أداء ركعتين من الصلاة تحفظ فيهما قلبك.

وإن أُريد به بواطنه، فأعظم وأعظم لأنَّه مرآة الوجود، وشرح الوجود. وإن أُريد به معرفة الله، التي بها كشف سُبحات الجلال من غير إشارة بأن تخرق جميع الحجب وتكشفها، ثمّ تكشف الحجاب الأكبر وتخرقه، الذي هو وجودك، بأن تراه به صادراً عن فعل الله حين الصدور بالفعل لا بالتَّصور فيلتبس عليك بوجه من وجوهه.

وإن أُريد به معرفة النفس فهو أن تمحو الموهوم ليصحو المعلوم.

وإن أُريد به النفس، فهو معنى قول علي عليه السلام: «**لم تُحط به الأوهام، بل تجلَّى لها بها، وبها امتنع منها**»[1].

هذه الثلاثة الأخيرة متلازمة والبيان فيها واحد والمراد من كون ذلك صراطاً هو ما ذكرناه قبل.

- **(صراط الذين أنعمت عليهم):**

الذين أنعم الله عليهم[2]:

الصراط المستقيم: الإشراق الأول، والتعيُّن الأوَّل والحقيقة المحمدية والولاية المطلقة.

وصراط الذين أنعم الله عليهم: محال الصراط المستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وهم أهل العصمة المطهرون من الوصمة.

في تفسير الثقلين قال الميرزا عبدالرسول الأحقاقي قدس سره: (صراط الذين أنعمت عليهم) الذين أنعم الله عليهم هم بالذات محمد وآل محمد عليهم السلام فقد أعطى الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته مقام الرسالة والخلافة والإمامة والعصمة والطهارة والأمانة والغيب والشهادة والجود والسخاء والعزة والشرف والإعجاز والكرامة والتوحيد والعبادة والصبر والاستقامة والهيمنة والإمارة والشفاعة والهداية والدلالة والجمال والحلاوة والنور والولاية لهم جميعاً سلام الله عليهم وجعلهم مستغرقين بجميع نعمه.

---

(١) تفسير الشيخ الأوحد: ص١٧٨.

(٢) (الرسالة التوبلية) جوامع الكلم: ج١، ص٢٢٨ نقلاً عن تفسير الشيخ الأوحد: ص٢١٧.

أما بالعرض فهم شيعة ومحبي أهل البيت عليهم السلام أولئك المحبوبين حقاً عند الله عز وجل، فقد جعلهم يتنعمون ببركاتهم وفيض وجودهم الشريف.

والدلائل كثيرة تؤكد على ذلك منها:

١- في معاني الأخبار: قال الإمام الصادق عليه السلام: قول الله عز وجل في سورة الحمد: «**(صراط الذي أنعمت عليهم) يعني محمداً وذريته صلوات الله عليهم**»[١].

٢- في تفسير البرهان: عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «**قول الله عز وجل في الحمد: (صراط الذين أنعمت عليهم) يعني محمداً وذريته صلوات الله عليهم**»[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قول هذه الآية المباركة: «**هم شيعة علي الذين أنعمت عليهم بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام**»[٣].

٣- روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في تفسير قوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم) أنه قال: «**أي قولوا: إهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك لا بالمال والصَّحة فإنهم قد يكونون كفاراً وفسّاقاً**»[٤]. فلا يحق لكم أن تطلبوا طريقهم طريق الكفر والفسق، بل النعمة الحقيقية في اتّباع أهل بيت النبوة عليهم السلام وهي النعمة التي ينبغي أن تطلب من الله عز وجل.

---

(١) تفسير الثقلين: ص٢١٤.
(٢) البرهان: ج١، ص١١٨.
(٣) نفس المصدر السابق، نور الثقلين: ج١، ص٣٩.
(٤) تفسير الصافي: ج١، ص٨٧- تفسير نور الثقلين: ج١، ص٣٩.

وقال: هم الذين قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[1].

وحكى هذا بعينه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ثم قال: «**ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن، وإن كان كل هذا نعمة من الله ظاهرة، ألا ترون أن هؤلاء قد يكونون كفاراً أو فساقاً فما ندبتم إلى أن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم وإنما أمرتم بالدعاء بأن ترشدوا إلى صراط الذين أنعم عليهم بالإيمان بالله وتصديق رسوله وبالولاية لمحمد وآله الطيبين، وأصحابه الخيّرين المنتجبين وبالتقية الحسنة التي يسلم بها من شر أعداء الله، ومن الزيادة في آثام أعداء الله وكفرهم بأن تداريهم ولا تغريهم بأذاك وأذى المؤمنين وبالمعرفة بحقوق الإخوان من المؤمنين**»[2].

٤- في كتاب كمال الدين وتمام النعمة: عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل وفيه يقول عليه السلام: «**ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى الله عز وجل، ونحن من نعمة الله على خلقه**»[3].

٥- روي عن الإمام الصادق عليه السلام: إن أبا حنيفة سأله يوماً عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[4].

فقال عليه السلام: ما النعيم عندك يا نعمان؟

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٩.
(٢) تفسير الثقلين: ج١، ص٣٩.
(٣) تفسير نور الثقلين: ج١، ص٤٠ نقلاً عن كتاب كمال الدين.
(٤) سورة التكاثر: الآية ٨.

قال: القوت من الطعام والماء البارد.

فقال عليه السلام: لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كلّ أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولنّ وقوفك بين يديه.

فقال: فما النعيم جعلتُ فداك؟

قال عليه السلام: نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألّف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءً، وبنا هداهم الله الإسلام وهو النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم به عليهم وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعترته عليهم السلام[1].

وقال الرضا عليه السلام: ولقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**يا علي! إن أول ما يُسأل عنه العبد بعد موته لشهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله وأنّك ولي المؤمنين**».

إذن من أقرّ بهذه الشهادات الثلاث فسيذهب به إلى الجنة الخالدة[2].

- (غير المغضوب عليهم ولا الضالين):

١- في تفسير الإمام العسكري عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن الله أمر عباده أن يسألوه طريق المنعم عليهم وهم الصديقون والشهداء والصالحون وأن يستعيذوا به من طريق المغضوب عليهم وهم اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم**

(١) نور الثقلين: ج١، ص٢١٦ نقلاً عن تفسير الصافي: ٥/ ٣٧٠.
(٢) تفسير الثقلين: ص٢١٨.

بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ ﴾[1]، **وأن يستعيذوا من طريق الضالين وهم الذين قال الله فيهم** ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2] **وهم النصارى**» ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**كل من كفر بالله فهو مغضوب عليه وضال عن سبيل الله عز وجل**»[3].

٢- في مجمع البيان: أراد بـ(المغضوب عليهم) اليهود ويدل عليه قوله تعالى ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾ وهؤلاء هم اليهود بدلالة قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾[4] وأراد بـ(الضالين): النصارى بدلالة قوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ وقال الحسن البصري: إن الله تعالى لم يبرئ اليهود من الضلالة بإضافة الغضب إلى اليهود، بل كل واحد من الطائفتين مغضوب عليهم، وهم ضالون، إلا أن الله تعالى يخص كل فريق بسمة يعرف بها، ويميز بينه وبين غيره بها، وإن كانوا مشتركين في صفات كثيرة.

٣- في تفسير المبين: قال معنى (غير المغضوب عليهم) أن غضبه تعالى الإنتقام منهم وإنزال العقاب بهم، ومعنى (ولا الضالين) والضلال في الدين الانحراف عن الحق.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٠.
(٢) سورة المائدة: الآية ٧٧.
(٣) تفسير البرهان: ج١، ص١٢٢.
(٤) سورة البقرة: الآية ٦٥.

٤- في تفسير القمي: قال المغضوب عليهم النِصاب والضالين اليهود والنصارى، وعنه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينه عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله (غير المغضوب عليهم) وغير الضالين، قال: المغضوب عليهم النصاب والضالين الشكاك والذين لا يعرفون الإمام[١].

٥- في تفسير الشيخ الأوحد قال: (غير المغضوب عليهم): هم أشياعهم الخواص، لأن المغضوب عليهم هم الأعداء الماحضون من بعد ما تبين لهم الهدى.

وغير الضّالين: هم المحبون.

والضّالون: أتباع أولئك الأعداء[٢].

٦- في تفسير الصافي: قال (غير المغضوب عليهم): قال هم اليهود الذي قال الله فيهم من لعنه الله وغضب عليه.

(ولا الضالين): قال هم النصارى الذين قال الله فيهم: قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً.

وزاد في تفسير الإمام عليه السلام ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**كل من كفر بالله فهو مغضوب عليه وضال عن سبيل الله**».

وفي المعاني: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**الذين أنعمت عليهم شيعة علي عليه السلام يعني أنعمت عليهم بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام لم تغضب عليهم ولم يضلوا**».

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٥٨.

(٢) عن ابن أذينة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله (غير المغضوب عليهم)، (ولا الضالين) قال: (المغضوب عليهم: النصاب والضالين: الشُّكاك والذين لا يعرفون الإمام عليه السلام- تفسير الشيخ الأوحد: ص٢١٧، تفسير الصافي: ج١، ص٨٧.

خلاصة الكلام: إن طريق (الذين أنعمت عليهم) هم الجادّة الوسطى والطريق المعتدل، والذي هو أقلّ من الغلو وأعلى من التقصير، وأن المؤمنين الذين هداهم الله إلى هذا الطريق وثبتوا عليه هم من الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان والاستقامة وقال بشأنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[1].

أي ثبتوا على عقيدتهم، في الواقع كل من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم واتّبع أهل بيته الطاهرين عليهم السلام قولاً وقلباً وعملاً وثبت على هذا الطريق فهو من (الذين أنعم الله عليهم)، وأما (المغضوب عليهم) فهم الذين تعرضوا لغضب الله عز وجل بتفريطهم وتقصيرهم كاليهود وكذلك النواصب الذين قصّروا في حق أهل بيت النبوة عليهم السلام وأنكروا مقاماتهم العالية وفضائلهم الشريفة.

فكل هؤلاء سواء كانوا يهود أو من النواصب فهم من (المغضوب عليهم) أما (الضالين) فهم الذين انحرفوا عن طريق الاعتدال وساروا في طريق الإفراط والغلو، وهم عبارة عن النصارى الذين افرطوا بشأن عيسى وأمّه مريم عليها السلام ونسبوا إليهما الألوهية. كذلك الحال في الغلاة من المسلمين الذين نسبوا الألوهية لأمير المؤمنين علي عليه السلام أو أحد الأئمة الطاهرين فكلهم من الضالين.

أما الشيعة والموالين لأهل البيت عليهم السلام هم الفائزين فهم الأمة الوسط التي أنعم الله عليها بالإسلام وولاية محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ولم يجعلهم من المغضوب عليهم ولا من الضالين. ونسأل الله عز وجل الثبات على ولايتهم وخطهم ببركة الصلاة على محمد وآل محمد.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٣٠.

- **التصميم على الهداية:**

عندما يقول الله عز وجل (اهدنا الصراط المستقيم) لا بُد للإنسان أن يضع أمامه هدفاً وهو (الاستقامة) ويسعى من أجل تحقيقه بجد ومثابرة وذلك عبر ثلاث مراحل:

أ- **المرحلة الأولى:** التصميم على الاستقامة: ولا يكون هذا التصميم جاداً إلاّ إذا عرف الإنسان أن في الحياة طرقاً كثيرة لا توصله إلى هدفه المنشود وأن هناك طريق واحد فقط هو الذي يوصله إلى تحقيق هدفه، فعليه أن يسعى إلى التعرف عليه والسير فيه وذلك بالطلب من الله والدعاء أن يمنحه هذه الاستقامة فيقول في صلاته كل يوم (اهدنا الصراط المستقيم) فهو يدعو الله عز وجل أن يمنحه هذه الاستقامة ولكن في حياته يواجه كثير من الضغوطات الاجتماعية والنفسية والشهوات ووساوس الشيطان التي تلعب بقلبه، فمن هنا عليه أن ينتظر نعمة الله حتى تظل الاستقامة دائمة قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) أي بنعمة الهداية التي تؤدي إلى الانتفاع بسائر نعم الله، وما دامت الاستقامة نعمة توهب وقد لا توهب للإنسان، فعليه أن يظل يقظاً كلما أبعدته عوامل الانحراف عن الخط، عاد إليه بفضل وعيه وثقته بالله، وبتصميمه على الاستقامة في الحياة حتى يأتيه اليقين.

ب- **المرحلة الثانية:** تحديد دواعي الانحراف التي تضغط على الإنسان باتجاه الانحراف أو تضغط عليه لكي يختار بوعي وعمد طريق الانحراف مثل حب الشهوات من النساء والبنين والكماليات والتفاخر وحب السلطة.

وكثير من الناس ينحرفون عن الاستقامة بشهواتهم لأنهم

يستسلمون لضغوط الشهوات، هؤلاء يغضب الله عليهم، ويسلب منهم نور الفطرة والعقل فإذا بهم في ظلمات لا يبصرون، قوله تعالى: (غير المغضوب عليهم) ممن تعمدوا الانحراف فسلب الله منهم نعمة الهداية فظلوا منحرفين إلى الأبد.

ج- **المرحلة الثالثة:** التخلص من عوامل الانحراف مثل الجهل والغفلة والنسيان فهي من عوامل الضلالة التي يجب التخلص منها حتى تتم الاستقامة.

فكثير من الناس ينحرفون لجهلهم بالدين خاصة الشباب الذين ابتعدوا عن قيم الله، هؤلاء هم الجهلاء لأنهم لو عرفوا الدين الصحيح لما توانوا عن التضحية من أجل المبادئ. كذلك المؤمنون الذين يقعون في الذنوب ثم يتوبون من قريب هؤلاء لا تقودهم الغفلة والنسيان، لذلك يدعو المؤمنون الصادقون أن يهدهم الله إلى الصراط المستقيم ولا يجعلهم من (الضّالين).

(ولا الضّالين) إن التخلص من الضلالة اللاواعية لا يكون إلا بعد التخلص من الانحراف الواعي إذ أن نور الله لا يدخل قلباً متكبراً معانداً مصمماً على الانحراف.

لذلك نجد القرآن يأمر بالتخلص من غضب الله أولاً، ثم يأمر بالتخلص من الضلالة.

إذن سورة الفاتحة (الحمد) بآياتها السبع، هي خلاصة لرؤى الإسلام وبصائره في الحياة، وأما التفصيل فنجده في القرآن كله.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
- سورة الفاتحة مكية وآياتها سبع	٥
- من فضائل سورة الفاتحة	٧
- تفسير الاستعاذة	١٥
- البسملة آية من سورة الفاتحة	١٦
- ما تفسير بسم الله الرحمن الرحيم	١٨
- آثار بسم الله في صورتها الحقيقية	١٩
- باء «بسم الله»	٢٠
- الـ«باء»	٢١
- الإسم	٢٢
- الله	٢٣
- «الرحمن الرحيم» رحمة الله الرحمانية والرحيمية	٢٦
- رحمة الله بالشاب السكران	٢٩
- أما الرحمة الرحيمية	٢٩
- نماذج من الرحمة للمؤمنين	٣١
- تفسير سورة الفاتحة	
- الحمد لله رب العالمين	٣٣
- الرحمن الرحيم	٣٩
- مالك يوم الدين	٤٢
- إياك نعبد وإياك نستعين	٤٤

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
- معنى العبودية	٥٣
- مراتب العبودية	٥٥
- اهدنا الصراط المستقيم	٥٩
- صراط الذين أنعمت عليهم	٦٩
- غير المغضوب عليهم ولا الضالين	٧٢
- الخلاصة	٧٥
- التصميم على الهداية	٧٦

المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- تفسير الصافي - الفيض الكاشاني.
٣- تفسير القمي - لابن الحسن علي إبراهيم القمي.
٤- تفسير الأمثل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
٥- معاني الأخبار - الشيخ الصدوق.
٦- تفسير الشيخ الأوحد الأحسائي - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي.
٧- آيات منتخبة من القرآن الكريم - السيد مهدي الخطيب.
٨- التوحيد - للشيخ الصدوق.
٩- أصول الكافي للكليني - للكليني الرازي.
١٠- من هدى القرآن - السيد محمد تقي المدرسي.
١١- تفسير مجمع البيان - للشيخ الطبرسي.
١٢- مصباح الشريعة - للإمام جعفر الصادق عليه السلام.
١٣- الميزان في تفسير القرآن - السيد محمد حسين الطباطبائي.
١٤- كشف الغمة في معرفة الأئمة - للأربلي.
١٥- تفسير نور الثقلين - للشيخ عبدعلي بن جمعة الحويزي.
١٦- البرهان في تفسير القرآن - للسيد هاشم البحراني.
١٧- تفسير الثقلين - للحاج ميرزا عبدالرسول الحائري الأحقاقي.
١٨- تقريب القرآن إلى الأذهان - للسيد محمد الشيرازي.
١٩- تفسير الاصفي- للفيض الكاشاني.
٢٠- آمالي الطوس - للشيخ الطوسي.
٢١- تفسير العسكري - للإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام.
٢٢- رسائل الحكمة - الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي.
٢٣- رسائل الميرزا محمد باقر الاسكوئي - الميرزا محمد باقر الحائر الاسكوئي.
٢٤- الصحيفة السجادية.